

التربية عند ابن خلدون

نهي عارف الحسن

رسالة رفعت الى دائرة التربية  
في الجامعة الاميركية في بيروت  
لاستكمال المتطلبات لنيل درجة  
اساتاذ علم

الجامعة الاميركية في بيروت  
حزيران ١٩٥٩

التربية عند ابن خلدون

## الاهـداة

الى من لا يمكنني ان افهمها حقها مهما  
جاهدت ... الى من اسـبغا علي نعمة الحياة ، واعجز عن  
ان ارد لهمـا خير صنيعهمـا ، اتقدم متواضعة باهداة عبارة  
نفسـي وقلمـي ،  
الى امـي وابـي .

## كلمة شكر

اتقدم بالشكر الوافر والاحترام الجزيل الى جميع اساتذتي واخصهم من ساهم مساهمة فعالة في ارشادي وادارة طريقي لوضع هذه الرسالة موضع التنفيذ . واراني عاجزة عن ان افهم كامل ما يستحقون ، ولكن لا يمكنني الا ان اتوقف لاشكر حضرات الاساتذة الكرام : المربية الفاضلة السيدة فائزة انتيبـا التي كان لي الفخر والغبطة بان تكون المرشدة التي انارت امامي السبيل بتوجيهها الصحيح . والاساتذة الكرام اعضاء اللجنة المشرفة الاستاذ محمد توفيق حسين والدكتور حسن صعب والدكتور نعيم عطية الذين لم يألوا جهدا بتقديم المساعدة الفعالة في سبيل وضع هذه الرسالة .

ولا بد لي من توجيه خالص شكري وامتناني الى حضرة الدكتور محمد يوسف نجم الذي اوحى الي باختيار هذا الموضوع فضلا عن مساعداته وتوجيهاته القيمة .

## ملخص الرسالة

عاش ابن خلدون في القرن الرابع عشر ، القرن الذي يمثل دور احتضار المدنية العباسية الفرسية ، وانتقال السيادة الزمنية من ايدي الاعاجم الغرباء الى ايدي الاتراك الدخلاء . ولذلك كان منتصف هذا القرن مزعزعا بالثورات والانقلابات وتتابع الدولات .

الا ان عصر ابن خلدون العلمي امتاز بكثرة الكتب الجامعة لاشتات من العلوم والثقافة . ولعمت في ذلك العصر اسماء كثيرة من العلماء والمؤلفين . وقد كان العالم العربي يتمتع بوحدة ادبية وثقافية واضحة المعالم ، على الرغم من غككه السياسي .

ولد ابن خلدون في تونس سنة ١٣٣٢ م وتوفي سنة ١٤٠٦ . وقد قضى ايام صباه بين ايدي والده ودرس عليه القرآن . ثم تابع دراسته على ايدي كبار علماء عصره . لقد كان نشاطه عديد الجوانب : شمل ميادين الادارة والسياسة ، الخطابة والقضاء

والدرس والبحث والتدريس والتأليف . دخل غمار الحياة العامة قبل ان يبلغ العشرين من عمره ، وقام بمهمة سياسية خطيرة ، بعد ما وصل الى عتبة السبعين ايضا . وبين وظيفته الاولى ومهمته الاخيرة ، تولى كتابة السر ، وخطبة المظالم ، وصار وزيرا ، وحاجبا ، وسفيرا ، ومدرسا ، وقاضيا وخطيبا ، كل ذلك بين سلسلة من الحوادث والمشاكل ، وبين ضروب من المنافسات والمخاضات .

اهتم ابن خلدون بالعلوم على اختلاف انواعها وافرد لها فصولا عديدة في " المقدمة " ، وتعتبر هذه العلوم تاريخا كاملا للعلوم والآداب عند العرب منذ بدء الاسلام حتى القرن الثامن . لقد قسم العلوم الى قسمين اساسيين وهما العلوم العقلية والعلوم النقلية وتحت كل قسم فروع من العلوم . وقد رتب ابن خلدون العلوم حسب اهميتها للمتعلم وقسمها الى اربعة اقسام ووضع كل قسم منها في مرتبة مناسبة لضرورته واسبقيته على غيره . اما هذه الاقسام فهي : العلوم الشرعية بانواعها ثم العلوم الفلسفية كالطبيعيات والالهيات ، والعلوم الآلية المساعدة لعلوم الدين كاللغة والنحو وغيرها ، ثم العلوم الآلية المساعدة للعلوم الفلسفية .

لقد تغيرت المراحل التعليمية عند المسلمين مع تطور الحضارة الاسلامية ، واختلاف العصور وتقدم الدول وتأخرها . كان التعليم مرحلة تبتدئ بالكتاب او بالمعلمين الخاصين وتنتهي بان تكون حلقة بالمسجد . ثم تطور التعليم من حلقات المساجد ، الى مدارس منظمة . واما عن مناهج واساليب التعليم فقد اختلفت اختلافا بسيطا بين مكان واخر الا ان العلوم الدينية كان لها المكان الاهم . ولقد نشأت المدارس والجامعات كما قلنا سابقا وكانت اهم هذه الجامعات

جامعة الأزهر ، والمدرسة النظامية ، والمدرسة المستنصرية .

لم يتكلم ابن خلدون في مقدمته عن الفلسفة مباشرة ،  
الا اننا استطعنا ان نستخلص هذه الامور من خلال نظراته الى المجتمع  
والى الغيبيات والكون والله ، ونظرتيه الى المعرفة والقيم .

لقد اعتقد ابن خلدون انه ليس من مجتمع ما الا وان  
يتأثر بثلاث عوامل وهي عامل التربية وعامل المناخ . فهو عندما يذكر  
هذه الاشياء يقول ان الاجسام والنفوس البشرية تتأثر كثيرا بهذه  
العوامل ولذلك نرى ان الامم التي تعيش في المناطق المعتدلة تختلف  
عن تلك التي تعيش في المناطق الحارة من ناحية اخلاقهم ومرافق  
حياتهم . والعامل الثالث المؤثر في المجتمع هو العامل الديني اذ  
انه ضروري لبناء مجتمع قوى متين .

الى جانب هذه العوامل يرى ابن خلدون ان هناك  
ثلاث مبادئ اساسية للمجتمع وهي : ضرورة الاجتماع للبشر وضرورة  
وجود وازع وعدم ضرورة وجود الشرع في المجتمع . فالاجتماع البشري  
ضروري ولا بد منه للتعاون على كسب العيش وجمع القوت ولدفع  
العدوان . واذا ما تم الاجتماع البشري لا بد من وازع يزع بعضهم  
عن بعض ومنع التحاسد والتنافس . اما فيما يتعلق بالدين فانه يعتقد  
بان المجتمع لا بد له من ان يتأثر بدين من الاديان كما وانه ضروري  
لبناء مجتمع يجمع بين منافع الدين ومنافع الدنيا . واعتبر ابن خلدون  
ان وجود الدين في المجتمع يهذب الاخلاق ويبعث روح التعاون  
والتعاضد في الامة وبذلك تتزايد قوتهم ويستطعون التكتل والتغلب  
على اعدائهم . وللعبية اهمية في المجتمع كالدين ذلك

انها اساس الملك فـقوة العصبية من حيث جمع شمل الامة ماثلة  
لقوة الدين ويجب ان يتوفر الاثنان معا .

الى جانب هذا وذاك يرى ابن خلدون ان المجتمع ينمو  
ويتطور كما يتطور الانسان ولكنه عندما يبلغ الطور الاخير وهو الاضمحلال  
لا ينتهي تماما كالانسان انما يعود فينشأ من جديد .

هذه نظرية ابن خلدون الى المجتمع ، واما عن نظريته  
الى المعرفة فقد عد مذهبـه وضعيا لانه يؤسس العلم على المشاهدة  
المحسوسة والفكر . وقد انتقد نطاق العقل البشري وطريقته في  
اكتساب العلوم . فالتوجه نحو العقل يكون بقوة الفكر وهي القوة  
التي تنشأ العلم عنها فتجرد المعاني الكلية من الجزئيات المحسوسة  
وتركبها على قوانين محصورة وترتيب خاص . والنفوس البشرية او بالاحرى  
اكثرها عاجزة بالطبع عن الوصول الى الادراك الروحاني لاتصالها بالمدارك  
الحسية التي تنشأ عنها العلوم .

واما عن نظريته الى الغيبيات فهو يعتقد ان في النفس  
الانسانية استعدادا للانفصال من البشرية الملكية . فيقسم النفس  
البشرية الى ثلاثة اصناف : العاجز عن الوصول الى الادراك الروحاني  
وهو الادراك البشري ، والمتوجه بتلك الحركة الفكرية نحو العقل الروحاني  
ويتعمق في الاشياء الباطنية وهذه هي مدارك الاولياء ، والصنف الثالث  
مطور على الانسلاخ من البشرية الى طور الملائكة وهو علا هم الاولياء .  
يومن ابن خلدون بتطور الكون كما انه يومن بوجود الله ويعترف  
بقدرته وقوته .

اما عن نظرية ابن خلدون الى القيم فهو يعتبر ان  
الخلال الحميدة من اهم الصفات التي يجب ان يتحلى بها الانسان وهي



اساس الملك ان ينتج عنها حب الخير ومراعاة مصالح الامة وبنائها .

من هذه هي نظرات ابن خلدون الفلسفية المختلفة التي استخلصنا فلسفته التربوية والنقاط الاساسية التالية فيما يتعلق بالتربية وشؤونها :-

٠١ ان المبادئ الاساسية التي يستند اليها ابن خلدون في تقرير قواعد العلم ، والملاحظات الجوهرية التي يبني عليها القواعد المذكورة هي :-

- أ- ان الاستعدادات لقبول العلم تشاء تدرجيا .
- ب- ان المتعلم اذا حصل على ملكة ما في علم من العلوم استعد بها لقبول ما بقي .
- ج- ان الملكات انما تحصل بتتابع الفعل وتكرره .
- د- ان تقسيم البال بين مسالتين مختلفتين يصعب الفهم .

٠٢ القواعد الاساسية

- أ- التدرج في التكرار والتوسع المتمركز .
- ب- على المعلم ان لا يخلط مباحث الكتاب الواحد باخر .
- ج- عليه ان لا يطيل الفواصل بين الدرس والدرس .

٠٣ ان الشدة في استعمال القصاص مضره بالمتعلم .

٠٤ الرحلة في طلب العلم مزيد كمال في التعلم .

هذه هي باختصار النقاط الاساسية التي دار حولها هذا البحث ولا شك في ان من يقرأ الرسالة بكاملها تظهر له الامور اشمل واوضح .

## توطئة

ان يقظة الشعوب العربية والحاحها في طلب العلم وبناء نهضة تربية صحيحة اصبحت حقيقة بارزة في العالم العربي اليوم . ومع ان الامكانات في البلاد العربية لتأمين تطور هذا الشعب وبناء هذه النهضة بات امرا بديهيا ، فاننا نلاحظ ان الشعوب العربية بحاجة الى اشياء اساسية لا يمكنها اغفالها . فانظار الشعب الى الالمام بماضيهم وبالاسس الحضارية لامته العربية هو من اهم هذه الاشياء الاساسية . ولا بد للطلاب المفكر والباحث حين يدرس ويطلع على التربية وتاريخها وتطورها في مختلف بلدان العالم الا ان يلاحظ ان كل ما يتعلمه هو مزيج من آراء ونظريات مستقاة في الغالب ، من الحضارة الغربية . ولا بد له آنذاك من ان يتساءل ملتفتا الى تاريخ امته يبحث في آفاقها عما محتته السنون وطوته الايام من الآراء والافكار القيمة . ونحن لو رجعنا مدة من الزمن الى الوراء وتطلعنا الى ما خلفه لنا التراث الحضاري العربي ، لبسطت امامنا مجالات واسعة في شتى الحقول والابحاث المختلفة . ولوجدنا ان كثيرا من الآراء والافكار التي بين ايدينا انما هي منبثقة من صميم هذا التراث الحضاري . ذلك ان كثيرا من فلاسفة العرب ومفكرهم قد سبقوا بتفكيرهم الادباء والفلاسفة الاجانب بقرون غير قليلة . والى جانب هذا فان كثيرا من هؤلاء الغربيين استقوا معلوماتهم وابحاثهم من خلال الآراء والنظريات التي ابتدعوها واخرجوها كبار المفكرين العرب والمسلمين . ومن بين هؤلاء المفكرين

والفلاسفة العلامة ابن خلدون الذي جاء في اواخر عصر الحضارة العربية فاستوعب ، بذهنه الذكي ، خلاصة ذلك التراث كله . ففلسف التاريخ واصل علم الاجتماع ، فكان علما مرموقا في التفكير العالمي المبتدع .

ولئن تخاخر الغربيون بإفذان مبتكرهم وملاؤا المكاتب بنتائج شتى الابحاث في حياتهم ، وعظموهم بتلقيبهم ابا لهذا العلم او ذاك ، فقد حق للشرقي العربي ان يجعل ابن خلدون وان يفاخر به وهو بالحقيقة واحد من اولئك الذين يمكن ان يتصف براس الدراسات الاجتماعية والادبية . ان ابن خلدون لم يبق مفكرا عربيا فحسب ، وانما اصبحت تراثه جزءا من التراث الانساني العام .

وقد رايت ان اقوم بدوري الى جانب الذين بحثوا في ما كتبه ابن خلدون وهم كثيرون . واخترت ناحية التربية عنده . وهذا لا يعني ان احدا لم يتطرق الى هذه الناحية ، لكنني اعتقد بان الاصلة في الدراسات لا تنتمي من جادة الموضوع وحده ، بل تتولد من صحة الطريقة وعلمية الاتجاه . وان الكتب والمقالات والدراسات التي نشرت بالعربية عن ابن خلدون ، كما قال الاستاذ ساطع الحصري ، وهو احد الذين قاموا بدراسات وافية مستغنية عن هذا العلامة ، قد ظلت بعيدة عن استيفاء حاجة البحث من نواحيه المختلفة .

وقد اردت خوض هذه الناحية بالذات بصفتي احدي طالبات التربية والباحثات في شؤونها ، علني اقوم بتأدية قسط ولو يسير من واجبي نحو هذا الفيلسوف والعبقري الكبير . وانني اؤمن حق الايمان بان الوقت قد حان ونحن في هذه النهضة العربية ان ننتحي ، نحن الطلاب والباحثين في شؤون التربية وغيرها في بحثنا ، ناحية عربية

حتى نتكهن من احياء التراث العربي الفكري ورفعته ، لان النهضة الحقيقية لا يمكنها ان تغفل الماضي عند البحث في فلسفة تربوية لامعة من الامم .

لقد تناولت في بحثي هذا الموضوع النواحي التالية :

في الفصل الاول تحدثت عن عصر ابن خلدون السياسي والعلمي لانه لا يمكن دراسة اي ناحية من نواحي ابن خلدون دون دراسة البيئة والعصر الذي عاش فيه . لان البيئة كانت ولا تزال من العوامل المهمة في تكوين الشخصية الانسانية .

وتناولت ايضا حياة ابن خلدون بصورة عامة ، فتحدثت عن دوره في الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية ، كما اشرت الى العوامل التي اثرت في تكوين عبقريته العلمية . وتناولت العلوم واقسامها عند ابن خلدون ذلك لانه افرز لها فصولا عديدة في مقدمته ولانها تعتبر تاريخا كاملا للعلوم عند العرب لاهيتها وحسن تسميتها وشرحها في المقدمة . وتناولت في فصل تال تاريخ التربية الاسلامية فتحدثت من نشأة التعليم وتطوره ، وعن مراحل التعليم واهدافه ، ونشأة المدارس والجامعات في معظم الاقطار العربية وفي الاندلس خاصة ، البلد الذي قضى ابن خلدون شطرا مهما من حياته . وغايتي من ذلك ان اظهر النواحي التربوية التعليمية وتطورها في العالم العربي تهيدا لدراسة آراء ابن خلدون التربوية التي ولا بد قد تاثرت بتلك الفترة وبالعلوم التي انتشرت في عهد كتابة المقدمة وما سبقها .

وفي الفصل الرابع والاخير وهو الفصل المعنى به تحدثت

عن فلسفة ابن خلدون التربوية . وتناولت نظراته المختلفة التي اثرت في آرائه في التربية واهدافها . فتحدثت عن نظرة ابن خلدون

الى المجتمع ومبادئه والعوامل المؤثرة فيه ، ثم عن نشوئه وتطوره  
وتفاعل الفرد في البيئة ومؤسساتها . ثم انتقلت الى التحدث عن  
نظريته في الغيبيات فتناولت الامور التي ما رواه الحس والكون والله .  
ثم نظرت الى المعرفة وكيفية استيعاب العلم والعقل وحدوده ،  
واخيرا نظرت الى القيم الاخلاقية وتأثيرها في تسيير الحياة وبناء  
المجتمع . واستخلصت من تلك النظرات اهدافه التربوية . وفي  
القسم الاخير من هذا الفصل تحدثت عن الطرق التعليمية المختلفة  
التي اتبعت في عصره ، ثم عن الطرق التعليمية والمبادئ الاساسية  
التي تحدث عنها ابن خلدون في التربية ، ثم عن استعمال الشدة  
في التعليم والرحلة في طلب العلم . وانتهيت بحثي في اعطاء نقاط  
اساسية هامة عن التربية عند ابن خلدون كانت بمثابة كلمة ختامية  
موجزة عن البحث .

وقد سلكت الطريقة العلمية في تناول الموضوع . فاعتمدت  
بالدرجة الاولى على "المقدمة" ، وجمعت ما ورد فيها عن الموضوع  
الواحد في اماكن متفرقة . ثم اعتمدت على كتب ابن خلدون الاخرى ،  
وما كتبه عن<sup>ه</sup> الباحثون من عرب وغير عرب . وقد قارنت بين آراء  
بعض المربين الغربيين حيث رايت المجال ملائما .

واحب ان اشير هنا انني اعتمدت على طبعتين للمقدمة  
طبعة بدولاق وطبعة دار الكتاب اللبناني وهي الجزء الاول من تاريخ  
العبر وديوان المبتداء والخبر .

آمله ان اكون قد وفيت هذا البحث حقه وارجو ان يكون  
فاتحة لبحوث عربية اخرى والله ولي التوفيق .

## الفهرست

صفحة	
١	اهـدا
ب	كلمة شكر
ت - خ	ملخص الرسالة
د - ز	توطئة
س - ط	الفهرست
١ - ١٠	الفصل الاول
	عصر ابن خلدون
١	أ - الحالة السياسية
٤	ب - عصر ابن خلدون
٧	ج - حياة ابن خلدون
١١ - ٣٣	الفصل الثاني
	العلوم وابن خلدون
١١	أ - العلوم واتسامها
١٢	ب - علوم القرآن من التفسير والقراءات
١٤	ج - علوم الحديث
١٤	د - علم الفقه والفرائض

صفحة

١٥	- علم التصوف
١٦	- علم الكلام
١٦	- علم تعليل الرؤيا
١٨	٢ - العلوم العقلية
١٨	- العلوم العددية
١٩	- العلوم الهندسية
١٩	- علم الهيئة
٢٠	- علم المنطق
٢١	- الطبيعيات
٢١	- علم الطب
٢٢	- الفلاحة
٢٣	- علم الالهيات
٢٤	- علوم السحر والطلسمات
٢٦	- علم الكيمياء
٢٧	- علوم اللسان العربي
٣٠	٣ - ترتيب العلوم حسب اهميتها

الفصل الثالث ٣٤ - ٥٤

لمحة عن تاريخ التربية الاسلامية

٣٥	١ - نشأة التعليم في الاسلام
٣٦	١ - مراحل التعليم عند المسلمين
٣٦	٢ - سن التعليم
٣٧	٣ - تصوير حالة التعليم
٣٨	٤ - مناهج واساليب المسلمين في التعليم

صفحة

٣٩	٥ - تكافؤ الفرص في التعليم
٤٠	٦ - توجيه التلاميذ على حسب مواهبهم
٤١	ب - المؤسسات التعليمية
٤٢	١ - نشوء الجامعات
٤٨	ج - العلم والحركة المدرسية في الاندلس
٥٠	د - امور المدارس واحوال التعليم في عهد كتابة المقدمة كما عرضها ابن خلدون
٥٥ - ١١٣	الفصل الرابع - فلسفة ابن خلدون التربوية
٥٦	١ - نظرة ابن خلدون الى المجتمع
٥٦	١ - العوامل المؤثرة في المجتمع
٥٨	٢ - مبادئ المجتمع
٦١	٣ - طبيعة الفرد
٦٢	٤ - المجتمع كائن حي
٦٤	٥ - الدولة والدين
٦٨	٦ - الدين والنبوة
٧١	٧ - الدين كمربي
٧٦	ب - نظرة ابن خلدون الى الغيبيات
٧٦	١ - الاطلاع على ما وراء الحس
٧٧	٢ - الكون



صفحة

٧٨	٣ - الله
٧٩	ج - ابن خلدون ونظرية المعرفة
٧٩	١ - تأسيس العلم على المشاهدة المحسوسة والفكر
٨٠	٢ - حدود العقل
٨٣	د - نظرة ابن خلدون الى القيم
٨٥	هـ - العلم والتعليم
٨٥	١ - العلم والتعليم ظاهرة اجتماعية
٨٧	٢ - اهداف التعليم
٨٨	٣ - علم النفس التربوي
٩٤	٤ - التربية العقلية
٩٦	٥ - منشاء التعليم
٩٩	٦ - تطور التعليم ونشؤه
١٠١	٧ - طريقة التعليم
١٠٨	٨ - استعمال الشدة في التعليم
١١٠	٩ - المرحلة في طلب العلم

الحمد لله والقلاة والسلام على رسول الله  
 لجزت لخوا السادة والعلماء العظام  
 اعمل التحصيل والامداد والمصل والاجادة  
 والابراء في المال والاعادة جميع ما سألوا  
 ورجوه من الاجارة واملوه على شريكه المصير  
 عن العلماء البيرة واخبرهم ان من لا  
 في غوار رضان علم اثني وثلاثين وسبع مائة  
 والله تعالى ينفعنا واوليهم العلم وامله جعلنا  
 من مالك سنبله وكس طر عبد الرحمن محمد بن  
 الحضرى للمالك في مصنف شعاع عام  
 سبع وتسعين وسبع مائة

احمد بن سبي في هذا الاستدعاء  
 المارن ما سألني بالشرط الغنبر عبد العلاب  
 ومولته جميع ولم يسمع ما لا ولا ولم  
 عند الله بحكم القضاة كسبند واحمد بن

## الفصل الاول

عمر ابن خلدون

## عصر ابن خلدون

### الحالة السياسية

---

يمثل القرن الرابع عشر في التاريخ الاسلامي ، دور احتضار المدنية العباسية الفرسية ، وانقضاء السيادة الزمنية من ايدى الاعاجم الغرباء الى ايدى الاتراك الدخلاء . وقد دهمت العالم الاسلامي آنشد جيوش المغول والتتار فعاثت في ارجائه فسادا . فلا غرابة ان ان رايانا العصر عصر نزاع ونفصال ، خر فيه شبح السلطة العباسية الضخم فريسة لاطماع الافراد الطامحة والفئات الثائرة كل ينتهش منها جزءا ليقسم على اساسه مملكة او امارة مستقلة .

فكان الحكم في الاندلس يقتسمه عدة امراء ، دعوا باسمراء الطوائف ، استبد كل واحد منهم بمقاطعة صغيرة ، وهم لا ينفكون عن اغارة بعضهم على بعض قصد التوسع والاحتلال . اما المشرق فقد اغارت عليه جيوش التتار تذيقه من الدوان الفتح في تلك الايام ما لم يذقه من قبل . واما شمالي افريقيا فكانت تنقسم الى ثلاثة اقسام رئيسية :

- ٠١ افريقيا او ما ندعوه اليوم تونس وعاصمتها بهذا الاسم يحكمها بنو حفص من سلالة الموحدين .
- ٠٢ المغرب الاوسط او الجزائر وقد قام بامرها حين ذاك بنو عبد الواد في عاصمتهم تلمسان .
- ٠٣ المغرب الاقصى او مراکش وقد قام بامرها بنو مرين وعاصمتهم في فاس .

وفي الجنوب، غير هذه السلطات ، قبائل متعددة من البربر ،  
تغزو المدن فتعكر عليها ما تركه لها الامراء الطامعون من الصفاة  
المضطرب . وهذه الدويلات نفسها منقسمة الى امارات عديدة يحكمها  
امراء فلبت عليهم الاثيرة واستولى عليهم الجشع والطروح . (١)

وكان بنو مرين اقوى هذه الدويلات . وقد غزا مؤسس  
دولتهم ابو يوسف يعقوب بن عبد الحق الاندلسي عدة مرات . وكان  
على عرش فاس زمن ابن خلدون السلطان ابو الحسن ولي الملك  
٧٢١ هـ - ١٢٣٠ م وقد غزا جبل طاق ، ثم زحف على المغرب الاوسط  
حتى استولى على تلمسان قاعدة ملك بني عبد الواد ٧٢٧ هـ وبذلك امتدت  
دولة بني مرين شرقا حتى تونس . ثم استولى ابو الحسن ٧٤٨ هـ  
على تونس واسترد الحفصيون ملكهم ٧٥٠ هـ . لكن المولى الفضل ابن سهل  
الحفصي لم يكد ليبرد ملك اسرته حتى خرج عليه الوزير ابو محمد  
عبد الله بن غرجين وانتزع منه العرش ، واقام فيه اخاه الطفل ابدا  
اسحق ابن يحيى الحفصي وذلك في اوائل ٧٥١ هـ .

وفي سنة ٧٥٣ هـ زحف امير قسنطينة ابو زيد حفيد السلطان  
يحيى الحفصي في قواته على تونس ، ليسترد ملك اسرته من قبضة الوزير  
المغتصب ابن غرجين . وكان ابن خلدون في حاشية ابي زيد ، وهزم  
ابو زيد ، فانسل ابن خلدون من المعسكر ناجيا . ثم عزم ابو عنان  
بن ابي الحسن ملك المغرب الاقصى على فتح المغرب الاوسط واستعادة  
تلمسان التي افتتحها ابوه ، ثم استعادها منه بنو عبد الواد ، فزحف  
عليها سنة ٧٥٣ هـ وامتلكها وقتل ملكها ابا سعيد ، ثم دخلت بجاية  
في طاعته . وكان ابن خلدون في سكرة بعد فراره من المعسكر ،

---

(١) شكرى مهدي ، عبد الرحمن ابن خلدون ، المقتطف ص : ١٦٦

فسمى الى لقاء ابي عنان بتلمسان فكرمته .

يتبين مما تقدم ان منتصف القرن الثامن للهجرة كان مزعزعا بالثورات والانقلابات وتتابع الدولات وكانت الامارات الصغيرة تتعاقب في القواعد والثغور الوسطى ، مثل بجاية وبونة وتلمسان وغيرها وتتسبب بسببها حروب كثيرة متلاحقة (٢).

لقد تحدثنا بايجاز عن اهم الاحداث السياسية في عصر ابن خلدون ومنعطي بعد ذلك لمحة عن عصره العلمي لنقابل بين تلك الاحداث وبين الحالة الثقافية العامة في تلك العصر ومدى تاثيرها بتلك الاوضاع المختلفة .

---

(٢) احمد الحوفي ، مع ابن خلدون ، ص ١٢٣-١٢٥

## عصر ابن خلدون العلمي

كان سقوط بغداد في ايدي التتار سنة ٦٥٦ هـ كارثة منيت بها اللغة والادب والحضارة العربية . ثم اخذت الدول العربية تنهار في الاندلس ، فتسقط المدن في ايدي القوط الواحدة بعد الاخرى . عندها وجد العلماء في بغداد ان ليس لهم ملجأ سوى مصر انقضاء لشر التتار بدار السلام وحاضرة الاسلام ، بعدما احرق التتار كتبها وبعثروها . كذلك فعل علماء الاندلس هربا من العذاب والتكيل .

ولقد كانت مصر انذاك المركز الثقافي للخلافة الاسلامية فاتسعت آفاقها وكثرت خيراتها ، وقصدها الفارسي والعراقي والحجازي والشامي والافريقي والاندلسي . ولقد اطمأنوا الى مصر نظرا لمعاملة السالبيين الطيبة لهم فشرعوا يتممون ما بدأوا به واستأنفوا انتاجهم العلمي والادبي . وزادهم نشاطا طموحهم الشخصي وعوامل اخرى شتى دفعتهم الى ان يعيدوا الى المجد الاسلامي والحضارة الاسلامية مجدها ورخاءها وان يسترجعوا الكتب النفيسة والمكتبة العربية التي فقدوها في نكبة بغداد والاندلس .

فكان لهذه الخطوة نتائج عظيمة ، فكثر الانتاج في هذا العصر وكثرت المدارس واختلفت عن المدارس الاولى بوجودتها واتساعها لعدد كبير من الطلاب حتى ان المدرسة الفاضلية كان فيها نحو مئة الف مجلد . وقد اهتم القاضي الفاضل مؤسس المدرسة الفاضلية باقتناء الكتب المختلفة واستخدم النساخ والمجلدين لاجل ذلك حتى بلغ عدد كتبه قبل وفاته بعشرين سنة اثني عشر الفا واربعمئة كتاب . (٣)

وقد امتاز عصر ابن خلدون بكثرة الكتب الجامعة لاشتات من العلم والثقافة والادب . ولعمت في هذا العصر اسما كثير من العلماء والمؤلفين مثل ابن تيمية (٦٦١ - ٧٢٨ هـ) وابن هشام (٧٠٨ - ٧٦١ هـ) والقسطلاني ، شارح البخارى ومؤلف المواهب (٨٥١ - ٩٢٣) وابن مالك (٦٠٠ - ٦٧١ هـ) والسديوطي (٨٤٩ - ٩١١ هـ) وابن منظور ، صاحب لسان العرب (٦٣٠ - ٧١١ هـ) والفيروز ابادى ، صاحب المحيط (٧٢٩ - ٨١٧ هـ) .

وسا يؤخذ على هؤلاء المؤلفين في ذلك العصر انهم لم يجيدوا النقد لما يروى ، ولم يعلقوا على الحوادث والتاريخ بأراء تدل على شخصيتهم العلمية ، ولم يبينوا دوافعها ونتائجها الحقيقية . ولم يتعرضوا في بحثهم عن دراسة السلاطين والامراء ونشأتهم وبيئتهم واثرها ، لكنهم عنوا العناية الاولى بالاحداث السياسية والحربية واغفلوا الحياة الاجتماعية والاقتصادية والخلقية وبذلك اهتموا بالملوك وحدهم لا بالشعب . وقد انتحى ابن خلدون ناحية اخرى في هذا المضمار اختلفت عن معاصريه من الكتاب والنقاد فوضع اصولا تكفل للمؤرخ ان يمتدى الى الصواب واهتم بدراسة المجتمع واحواله (٤) .

اما بلاد المغرب فقد اهتمت بالحديث والفقه ولا سيما مذهب مالك وابي حنيفة . وقد اهلكت العلوم الفلسفية الى حد ما نظرا لاضطهاد الفلاسفة وتخريب كتبهم . ويقول الحوفي : " لكن عبقرية ابن خلدون حطمت قيود البيئته وحدود العلوم المرسومة فنبتغ في عصر ندر فيه من يجدد وسبق اهل زمانه سبقا لا يدرك ، بل سبق من بعده سبقا يجهد من يترسم خطاه او يحاول ان يبلغ مداه " (٥) .

ما يجدر ملاحظته ان العالم العربي ، في عصر ابن خلدون ، كان

---

(٤) ع . س . ص : ٧

(٥) ع . ن . ص : ٨



يتمتع بوحدة ادبية وثقافية واضحة المعالم ، على الرغم من تفككه  
السياسي الذي وصفناه سابقا .

كانت وحدة اللغة تربط مختلف اقطار العالم العربي بروابط  
معنوية قوية ، وتعمل على الدوام على تقارب الافكار وتجاوب النفوس .  
كما ان حركات التجارة وفروخ الحج ، كانت تولد تيارات مستمرة ، تسهل  
التعارف بين سكان الاقطار المختلفة ، وتساعد على انتقال الافكار والاخبار  
بين هذه الاقطار .

كان الادباء والفقهاء والعلماء يصلون بفهم بعضي ، بالمخاطبة  
او بالمشافهة وكانت ثمرات قرائحهم تنقل من قطر الى آخر بسهولة  
وسهولة ، وكانت شهرة الكبار منهم تنتشر في جميع الاقطار العربية .

وربما كانت حياة ابن خلدون نفسه من ابلغ الامثلة ووضح  
الادلة على هذه الوحدة الادبية والثقافية ، التي كانت تبسط اجنحتها على  
جميع البلاد العربية على الرغم من اختلاف اوضاعها السياسية ، وعلى  
الرغم من منافسات حكامها ومخاضاتهم المتواليمة (٦) .

---

(٦) ساطع الحصري ، دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، ص : ٦٤

## حياة ابن خلدون

نسبه :

هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن محمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون . ونسبهم في حفر موت ، من عرب اليمن الى وائل بن حجر ، من اقبال العرب . وكان جده خلدون قد دخل الى الاندلس ، ونزل بقرمونه في رهط من قومه ، ونشأ بيت بنيهم بها ، ثم انتقلوا الى اشبيلية . ولم يزل بيت بني خلدون باشبيلية - كما ذكره ابو حيان وابن حزم وغيرها - سائر ايام بني امية الى ازمان الطوائف . ثم انحلت عنهم الامارة بما ذهب لهم من الشوكة (٧).

حياته :

ولد ابن خلدون في تونس سنة ١٣٣٢ م ( ٧٣٢ هـ ) ، وتوفي سنة ١٤٠٦ م . وقد قضى ابن خلدون ايام صباه بين ايدي والده الذي كان قد اعتزل السياسة وتفرغ للعلم ، فدرس عليه القرآن واللغة والحديث واعتنهما وهو لا يزال في سن مبكرة . وعندما استولى السلطان ابو الحسن المريني على تونس ١٣٤٧ ، اخذ ابن خلدون يدرس على العلماء المغاربة الذين كان يستصحبهم السلطان للمفاخرة والتترك ، فاتم على يدهم العلوم الشرعية والكلامية المعروفة في ذلك الحين . ثم اغتتم الفرصة وعقد مع هؤلاء الاساتذة روابط علمية ، كانت فيما بعد

---

(٧) ابن خلدون ، التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا ، ص : ٤

الخطوة الاولى في سبيل الخطوة السياسية التي شغلت كل حياة ابن خلدون<sup>(٨)</sup>.

كانت السنوات الطويلة التي عاشها ابن خلدون زاخرة بنشاط خارق للمعادة ، وحيوية محيرة للعقول . لقد كان نشاطه عديد الجوانب : شمل ميادين الادارة والسياسة ، الخطابة والقضاء والدرس والبحث ، والتدريس والتأليف . وكانت حيوية عنيفة صاخبة ، لا تعرف معنى للمدوء ، ولا تبالي بالاخطار والاهوال . ولذلك صارت حياته سلسلة طويلة من حوادث النجاح والفشل .

دخل غمار الحياة العامة قبل ان يبلغ العشرين من عمره ، وقام بمهمة سياسية خطيرة ، بعدما وصل الى عتبة السبعين ايضاً . وبين وظيفته الاولى ومهمته الاخيرة ، تولى كتابة السرد ، وخطبة العظام ، صار وزيراً ، وحاجباً ، وسفيراً ، ومدرساً ، وقاضياً وخطيباً ، كل ذلك بين سلسلة من الحوادث والمشاكل ، وبين ضروب من المنافسات والمخاضات .

ولم يتمتع ابن خلدون بحياة المدوء بمعناها التام الا نحو اربعة اعوام بين سنة ١٣٧٥ وسنة ١٣٧٨ عندما اعتزل الحياة العامة في قلعة ابن سلامة . ولقد كانت هذه السنوات الاربع اثنى واخصب سني حياته من حيث النشاط الفكرى والانتاج العلمى لانه عكف في تلك المدة على كتابة مقدمته العظيمة التي رفعته الى مصاف رجال الفكر العظام في العالم بل وضمت له الخلود<sup>(٩)</sup>.

لم ينحصر نشاط ابن خلدون في تونس مسقط رأسه ، بل شمل معظم اقطار العالم العربى . فقد قضى نحو ٢٤ سنة من

---

(٨) شكرى مهدي ، "عبد الرحمن ابن خلدون" ، المقتطف ص : ١٧٠

(٩) ساطع الحصرى ، دراسات عن مقدمة ابن خلدون ص : ٤٤

حياته في تونس و ٢٦ سنة منها في المغرب الاوسط والاقصى والاندلس  
و ٢٤ سنة منها في مصر والشام والحجاز .

لقد ساعدت ظروف حياة ابن خلدون هذه على توسيع ملاحظاته  
وتنمية معلوماته مساعدة كبيرة ، كما انها اثرت في تكوين اسلوب  
تفكيره تأثيرا عميقا .

قلنا انه انحدر من عائلة عريقة لعبت دورا هاما في الحياة  
السياسية وتولى اجداده اعظم المناصب واعلاها . وقد نشأ ابن خلدون  
في ظل هذه الاسرة يسمع مناقب اجداده ويحضر مجالس والده . وقد  
ولدت هذه البيئة العائلية في نفسه نزعتين قويتين : حب المنصب والجاه  
من ناحية ، وحب الدرس والعلم من ناحية اخرى . ولذلك نجد ابن  
خلدون ينكب حينما على الدرس والتحصيل ، ويدخل الحياة العامة حينما  
اخر ليخوض في الحياة السياسية يدفعه المنصب والجاه والطموح .

ان النزعتين المذكورتين مكنتا ابن خلدون من تأليف المقدمة .  
ان حب المنصب والجاه دفعه الى خوض غمار الحياة السياسية ، ولكن  
حب الدرس والعلم جعله يتأمل في صفحات هذه الحياة ، تأملا نظريسا  
استقرا منها مبادئ عامة ساعدته على ابداع علم جديد ، هو علم  
الاجتماع (١٠).

يمكننا ان نقسم حياة ابن خلدون الى ثلاثة ادوار اساسية  
من تاريخ دخوله الحياة العامة :

الدور الاول : كان دور العمل السياسي في بلاد المغرب استمر مدة  
تزيد على عقدين من السنين ( ١٣٥٢ - ١٣٧٤ ) تولى فيها  
مناصب سياسية مهمة كوظيفة كتابة العلامة وخطة المظالم

---

(١٠) ساطع الحصري ، ع.س. ص : ٥١

ومنصب الحجابة وكانت ارفع مناصب الدولة .

الدور الثاني : كان دور الانزواء والتأمل والتأليف في قلعة ابن سلامة  
استمر اربع سنوات ( ١٣٧٤ - ١٣٧٨ ) .

الدور الثالث : كان دور الانصراف الى التدريس والقضاء ، مع مراجعة  
التأليف واستمر ثمانية وعشرين عاما ( ١٣٧٨ - ١٤٠٦ ) (١١).

هذه نظرة عامة عن حياة ابن خلدون تبين لنا العوامل  
والمؤثرات التي اثرت في حياته وفي شخصيته .

---

(١١) ساطع الحصري ، عيسى : ص ١٤

## الفصل الثاني

العلم وأبسن خلدون

## العلوم وابن خلدون

تعتبر الفصول المحتوية على اصناف العلوم عند ابن خلدون تاريخا كاملا للعلوم والاداب عند العرب منذ بدء الاسلام حتى القرن الثامن . وابن خلدون هو اول مسلم كتب تاريخ الحركة الادبية والعقلية للمسلمين بطريقة تكاد تكون حديثة . وقد اكفى الكتاب من قبله بوضع كتب جامعة تأتي على ذكر اشهر العلماء في فرع من العلوم او جميع العلماء وجميع الاداب بطريقة عامة ، او تحتوى فهارس لاسماء كل الكتب التي وضعت في مختلف كل العلوم . ولكن لم يتطرق احد منهم الى درس العلوم كل منها على حدة كما فعل ابن خلدون (١٢).

وسنعرض هذه العلوم التي افرد لها ابن خلدون فصولا عديدة في المقدمة عرضا عاما نظرا لاهيتها ولعلاقتها بمذاهب التعليم عند ابن خلدون .

## العلوم واقسامها

اهتم ابن خلدون بتصنيف العلوم وتقسيمها ، وبيان ما تبحث فيه ، وتقدير فائدتها للمتعلم ، حتى يمكنه ان يصنع منهجا دراسيا مناسباً ، بحيث يكون اداة للوصول الى تحقيق اهداف التعليم عنده . ونجد ان يرتب العلوم في درجات تنازلية حسب فائدتها للمتعلم واسبقيتها في الاهمية بالنسبة لتعليمه .

---

(١٢) طه حسين ، فلسفة ابن خلدون الاجتماعية ، ص : ١٥٦

وقد قسم ابن خلدون العلوم المنتشرة في المجتمعات المتحضرة حتى عصره الى قسمين كبيرين : قسم طبيعي للانسان يمتد الى نفسه ، وقسم نقلي يتعلمه عن وضعه من قبله . فالقسم الاول هو العلم العقلي او كما سماها العلوم الحكيمة الفلسفية التي يمكن للانسان ان يتعلمها ويطلع على مسائلها وجوهرها المختلفة بواسطة تفكيره ومداركه البشرية حتى اذا وقف عليها تبين غثها من سهيها . واما القسم الثاني فهو العلم النقلي الوصفية التي تستند الى واقعها وليس للعقل فيها شان الا في اتباع الفروع باصول المسائل .

#### ١ - العلم النقلي :

هي علم ينقلها الانسان من وضعها او اسسها ، وتتوارثها الاجيال ، وكل هذه العلوم مستندة الى الخبر عن الواقع الشرعي ولا مجال فيها للعقل الا في الحقائق الفروع من مسائلها بالاصول . وتسمى هذه العلوم الى شرح العقيدة وتنظيم فرائض الدين ، وسن القوانين الشرعية اي ان العلم النقلي هي علوم الدين بانواعها ، وما يرتبط بها من علوم مساعدة لها ، ومهيئة لدراستها مثل علم اللغة والنحو وغيرهما . ويقول ابن خلدون : " واصل هذه العلوم كلها هو الشرعيات من الكتاب والسنة التي هي سنة مشروعة لنا من الله ورسوله وما يتعلق بذلك من العلوم التي تهيتها للافادة (١٣) . اما اصناف هذه العلوم النقليية فهي :-

#### ١ - علم القرآن من التفسير والقراءات

أ - القرآن : هو كلام الله المنزل على نبيه وقد روى على طرق مختلفة من قبل الصحابة وتوكل واشتهر الى ان استقرت هذه

---

(١٣) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ص : ٤٣٥



الروايات على سبيل طرق معينة واختصت بالانتساب الى من اشتهر بروايتها فصارت هذه القراءات السبع اصولا للقراءة . ولم ينزل القراء يتداولون هذه القراءات وروايتها الى ان كتبت العلم ودونت فكتبت فيما كتب من العلم وصارت صناعة مخصوصة وعلما منفردا وتناقله الناس بالمشرق والاندلس في جيل بعد جيل (١٤).

ب - التفسير : بعد ان يعرف هذا العلم بانه النظر بالكتاب ببيان الفاظه ، ياتي على ذكر تاريخ هذا العلم ، فيقول نزل القرآن بلغة العرب وعلى اساليب بلاغتهم فكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه . وكان ينزل جملا وآيات لبيان التوحيد والفروخ الدينية بحسب الوقائع . وكان النبي يبين الجمل ويميز الناسخ من المنسوخ ويعرفه الى الصحابة . ثم تنقلت هذه الايات من الصحابة حتى صارت المعارف علوما ودونت الكتب ونقلت الاثار الواردة فيها من الصحابة والتابعين وانتهى ذلك الى الطبري والواقدي والشمالبي وامثالهم من المفسرين . ثم صارت علوم اللسان صناعة من الكلام في موضوعات اللغة واحكام الاعراب فوضعت الدواوين في ذلك وصارت تتلقى من كتب اهل اللسان فاصبح تفسير القرآن ضروريا في مثل هذه الحالة لانه بلسان العرب وعلى منهج بلاغتهم . واصبح التفسير على نوعين تفسير نقلي مسند الى الاثار المنقولة عن السلف وهي معرفة الناسخ والمنسوخ واسباب النزول . والنوع الاخر من التفسير هو ما يرجع الى اللسان من معرفة اللغة والاعراب والبلاغة في تادية المعنى بحسب المقاصد والاساليب (١٥).

---

(١٤) ابن خلدون ، ص ٤٣٢

(١٥) ص ٤٣٦ ، ٤٤٠

## ٢ - علوم الحديث :

يقول ابن خلدون : "واما علوم الحديث فكثيرة ومتنوعة لان منها ما ينظر في ناسخه ومنسوخه ، وذلك بما ثبت في شريعتنا من جواز النسخ ووقوعه لطفاً من الله وعباده وتخفيفاً عنهم باعتبار صالحهم التي تكفل لهم بها " .

ياتي على ذكر من اشتهر في علم الحديث فيقول بان ابا عبد الله الحاكم هو من فحول علماء الحديث واثبتهم وتأليفه فيه مشهورة وهو الذي هذبها وظهر محاسنه . وياتي بعده محي الدين النوروي والبخاري صحيح مسلم الذي اعتنى به علماء المغرب وغيرهم من اشتهروا بهذا العلم . بعدها يبين كيف اختلفت آراؤهم وتفاوتوا في نقلهم الاحاديث . وقد ذكر ابن خلدون اماكنهم واطنانهم كما ذكر طريقة كل بلد في روى الاحاديث وبيّن حسنات وسيئات كل واحدة منها ثم عدد الاحاديث لكل واحد منهم (١٦).

## ٣ - علم الفقه والفرائض :

الفقه هو "معرفة احكام الله تعالى في افعال المكلفين بالوجوب والحذر والندب والكراهة والاباحة ، وهي متلقاة من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفةا من الادلة . فاذا استخرجت الاحكام من تلك الادلة قيل لها فقه . وكان السلف يستخرجونها من تلك الادلة على اختلاف فيما بينهم (١٧).

بعد ان اصبح الفقه صناعة وعلم انقسم الى طريقتين طريقة اهل الرأي والقياس وهؤلاء هم اهل العراق . وطريقة اهل الحديث وهم

(١٦) ابن خلدون ، ج ١ ص : ٤٤١

(١٧) ج ١ ص : ٤٤٥

اهل الحجاز . وقد ذكر ابن خلدون اهم واشهر الفقهاء في ذلك  
العصر وطرقهم المختلفة ، فاما اهل العراق فامامهم الذي استقرت  
عنده مذاهبهم ابو حنيفة النعمان بن ثابت . واما اهل الحجاز فكان  
امامهم مالك بن انس بن الاصمعي امام دار الهجرة ، واتى بعده محمد  
بن ادريس الملقب بالثوري الشافعي وغيرهم . ثم تتبع تاريخ هذا العلم  
في مختلف الاقطار الاسلامية واساليبه كما ذكر الكتب المهمة الباحثة  
في هذا الموضوع مثل كتاب النوادر لابن زيد وكتاب العتبي  
للعنبي . (١٨)

أما علم الفرائض فهو " معرفة فروض الوراثة وتصحيح سهام الفريضة باعتبار فروضها الأصول ومناسختها " . وقد جعلوه فنا منفردا وان للناس في هذا العلم تأليف كثيرة يعدد ابن خلدون أشهرها مثل كتاب ابن ثابت ومختصر القاضي أبي القاسم الحنفي ثم الجعدي وغيرهم . ان هذا العلم " هو فن شريف لجمعه بين المعقول والمنقول والوصول به الى الحقوق في الوراثة بوجوه صحيحة يقينية عندما تجهل الخطوط وتشكل على القسامين . ثم يقول " وهو ان يكن متداول بين الناس ولا يفيد فيما يتداولون من أنفسهم لغرابته وقلة وقوعه فهو يفيد المران وتحصيل الملكة في المتداول على اكمل الوجوه " . ( ١٦ ) .

#### ٤ - علم التصوف :

يعرفه ابن خلدون كما يلي : " هو علم من العلوم الشرعية  
الحادثة في الملة ، وأصل هذا العلم هو العكوف على العبادة والانقطاع  
إلى الله تعالى والأمراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد فيما يقبل

(۱۸) ابن خلدون ، مقدمہ ص : ۴۴۶

(۱۶) م . ن . ص : ۵۲

عليه الجمهور من لذة ومال وجاء والانفراد من الخلق في الخلوة للعبادة \* .

يعتبر ابن خلدون هذا العلم من العلوم الشرعية وأنه أحد العلوم "الحادثة في الملة" ، وأن علم التصوف ناتج من انقطاع بعض الصحابة والائمة للعبادة واعراضهم عن زينة الحياة الدنيا وترفعها \* ولذا فمنهم من كتب في الورع ومحاسبة النفس ومنهم من كتب في اصول العبادات وما الى ذلك (٢٠) .

#### ٥ - علم الكلام :

وتشمل العلوم النقلية أيضا علم الكلام وهو علم " يتضمن الحجاج عن العقائد الايمانية بالادلة العقلية " . والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذهب السلف واهل السنة وسر هذه العقائد الايمانية هو التوحيد \* .

#### ٦ - علم تعبير الرؤيا :

اعتبر ابن خلدون علم "تعبير الرؤيا" من العلوم الشرعية \* وهي موجودة في صنف البشر على الاطلاق \* وهي مدرك من مدارك الغيب ولا بد من تعبيرها \* يعطي هنا مثلا على يوسف الصديق وتفسيره للاحلام \* ويعلل السبب في كون الرؤيا مدركا للغيب بقوله " ان الروح القلبي وهو النجار اللطيف والمنبعث من تجويف القلب اللحمي ينتشر في الشريانات ومع الدم في سائر البدن وبه تكمل افعال القوى الحيوانية واحساسها ، فاذا ادركه اللال بكثرة التصرف في الاجناس بالحواس الخمس وتصريف القوى الظاهرة وغشى سطح البدن

---

(٢٠) ابن خلدون ، مقدمة ، ص : ٤٦٧

ما سره الليل انحبس الروح من سائر اقطار البدن الى مركزه  
القلبي فيستحم بذلك لمعاودة فعله فتعطلت الحواس الظاهرة كلها  
وذلك معنى النوم . ثم ان هذا الروح القلبي هو مطية للروح  
العاقل من الانسان والروح العاقل مدرك لجميع ما في عالم الاربذاته .  
ثم يقول " واذا ادرك ما يدرك من عوالمه رجع الى بدنه ان هو ما دام  
في بدنه جسماني لا يمكنه التصرف الا بالمدارك الجسمانية والمدارك  
الجسمانية للعلم انما هي الدماغية والتصرف منها هو الخيال فانه  
ينتزع من الصور المحسوسة صورا خيالية ثم يدفعها الى المحافظ-ة  
تحفظها له الى وقت الحاجة اليها عند النظر والاستدلال . وكذلك تجرد  
النفس منها صورا اخرى نفسانية عقلية فيترقى التجريد من المحسوس الى  
المعقول والخيال واسطة بينهما . ولذلك اذا ادركت النفس من عالمها  
ما تدركه ، القته الى الخيال فيصوره بالصورة المناسب له ويدفعه الى  
الحسي المشترك فيراه النائم كأنه محسوس فيتزلزله المدرك من الروح  
العقلي الى الحسي والخيال ايضا واسطة . هذه هي حقيقة الرويا . (٢١)

هذه هي اهم اصناف العلوم النقلية كما ذكرها ابن خلدون ،  
ويقول ابن خلدون ان العلوم النقلية كلها مخصصة بالملحة الاسلامية  
واهلها . فدراستها واجبة على كل مسلم وضرورية لحياته لارتباطها بالدين  
الذي يساعد الفرد على ان يحيا حياة طيبة فاضلة ، معصومة من الاخطا .  
اما العلوم الدينية غير الاسلامية ، والتي تفتن بالديانات التي انزلت قبل  
ظهور الاسلام ، فانه ينبغي تجنب دراستها " فقد نهى الشرع عن النظر  
في الكتب المنزلة غير القرآن " . ذلك لان القرآن يتناول الحياة البشرية  
من جميع نواحيها روحية كانت ام مادية ، ومنه تؤخذ القوانين التي يسير  
وفقها المجتمع ، اما الكتب الدينية الاخرى فلا تعني الا بالنواحي الروحانية

فقط . وقد وفى القرآن هذه النواحي حقها . وبالإضافة الى هذا فان العلم الشرعي قد بلغت من التنظيم والاكتمال والتقيح مبلغا عظيما . فجاءت من وراء الغاية في الحسن والتنميق ، وكان لكل من رجال يرجع اليهم فيه واوضاع يستغاد منها . (٢٢)

## ٢- اصناف العلم العقلية :

### ١- العلم العددية :

يبحث ابن خلدون في العلم العددية وانواعها وما ياتي فيها ويبين فوائد هذه العلم العددية وما تسهله في المعاملات والحياة ثم يفسر بعضها منها ويشرح طرقها ويعطي امثالا على ذلك في تطبيقها . يقول ان الارتباطيقي هو اول هذه العلم العددية ومعناه معرفة خولى الاعداد . والفرع الاخر هو علم العدد بالضم والتفريق . ويأتي هنا على ذكر طرق حسابية مختلفة . ويعتبر الحساب من احسن التعليم ان يبتدىء الانسان بها لانها معارف متضحة وبراهين منتظمة فينشأ عنها في الغالب عقل مضيء درب على الصواب . (٢٣)

ومن فروع العلم العددية الجبر والمقابلة (وهي صناعة يستخرج منها العدد المجهول من قبل العلم) . والفروع الاخرى هي المعاملات لتصرف الحساب في المعاملات والمساحات والزكاوات . ويذكر هنا ان التكرار والتدرب على المسائل الحسابية مهم جدا لترسخ الملكة في صناعة الحساب ومن فروعها ايضا الفرائض وهي "صناعة حسابية في تصحيح السهام لذوى الفروض في الوراثة" (٢٤)

(٢٢) ابن خلدون ، ع.ن. ص : ٤٣٦

(٢٣) ع.ن. ص : ٤٨٣ و ٤٨٤

(٢٤) ع.ن. ص : ٤٨٤

## ٢- في العلم الهندسية :

علم الهندسة هو النظر في المقادير اما المتصلة كالخط والسطح والجسم واما المنفصلة كالأعداد ، هكذا عرف ابن خلدون علم الهندسة ثم اخذ يبين او من كتب هذا العلم وهم اليونانيون وقد ترجمت كتاباتهم الى العربية ايام الخليفة ابي جعفر المنصور . ثم ذهب يبين فوائد علم الهندسة ويقول بانها تكسب العقل اضافة ، واستقامة ، لانها مبنية على براهين منتظمة واضحة الترتيب فيبتعد الفكر بممارستها عن الخطاء . وبعدها يأتي ابن خلدون على ذكر فروع علم الهندسة فمن فروعها الهندسة المختصة بالاشكال الكروية والمخروطات وهناك الهندسة المختصة بالمساحة والاراضي ثم المناظرة وهي احدى فروع الهندسة . وقد ذكر ابن خلدون اهم ما اشتهر ولف من اليونانيين والعرب في هذا العلم معددا اسما كتبهم وتأليفهم . (٢٥)

## ٣- في علم الهيئة :

علم الهيئة هو علم ينظر في حركات الكواكب الثابتة والمتحركة ثم في اشكال الافلاك واماها . يتكلم بعدها عن تركيب الافلاك والكواكب ويأتي على وصف كيفية اقبال الناس على هذا العلم فسي العهد الاسلامية وكيف اعتنى بها اليونان قبل العرب والفوا عنها الكتب الطويلة المشهورة . ويذكر ان من فروع هذا العلم هو علم الازياج وهي صناعة حسابية على قوانين عديدة فيما يخص كل كوكب من طريق حركته ويذكر تأليف الاقدمين في هذا الفرع من العلوم . (٢٦)

---

(٢٥) ابن خلدون ، م.س. ص : ٤٨٦ - ٤٨٧

(٢٦) م.ن. ص : ٤٨٨

٤ - في علم المنطق :

علم المنطق هو القوانين التي يعرف بواسطتها حدود المعرفة الصحيحة وما هي الحجج الصالحة لتدقيق صحة هذه المعرفة من الفاسد فيها .

يقول ابن خلدون ان بالحواس الخمسة تدرك المحسوسات ، والحيوانات جميعها بما فيها الانسان تشترك في ادراكها . انما يمتاز الانسان عن الحيوان بادراكه للكليات التي تتجرد عن المحسوسات ويتم ذلك بان يستجمع الانسان في خياله صورة واضحة استغلها من عدة صور متشابهة في ذهنه ينطبق على تلك الاشياء المحسوسة . ويظل يرتقي بالتجريد الى العقل الذي لا يجد كليا آخر معه يوافقه . فمثلا تجريد صورة الفرع المنطبقة على الانسان وتجريد صورة الجنس على الانسان والحيوان ثم النبات الى ان ينتهي العقل الى الجنس العالي وهو الجوهر فلا يجد كليا يوافقه . (٢٢)

ياتي ابن خلدون على ذكر اول من تكلموا بهذا العلم جملا ثم يبين كيف جمع بعد ذلك بواسطة الفيلسوف اليوناني الكبير ارسطو الذي رتبته وتمغه وجعله اول العلوم الحكيمة ولذلك سمي بالمعلم الاول ويعرف كتابه بعلم المنطق بالنص ويشتمل على ثمانية كتب ، اربعة منها عن القياس واربعة اخرى عن مادة القياس الاول في الاجناس العاليه واسم الكتاب المعقولات والثاني في القضايا الصديقية واصنافها ويسمى كتاب العبارة والثالث كتاب القياس والرابع كتاب البراهين وهو النظر في القياس المنتج والخامس كتاب الجدول والسادس كتاب السفسطة والسابع كتاب الخطابة والثامن كتاب



الشعر . بعد ان يعرف هذه الكتب باختصار يتحدث عن نقلها بين مختلف الاسباب ، ويبين ان كثيرا منها او كلها مترجمة الى اللغة العربية وتداولها فلاسفة الاسلام بالشرح والتلخيص كما فعل الفارابي وابن سينا وابن رشد وغيرهم . (٢٨)

##### ٥ - الطبيعيات :

يعرف ابن خلدون علم الطبيعيات كما يلي : " هو علم يبحث عن الجسم من جهة وما يلحقه من الحركة والسكون فيظفر في الاجسام السماوية والعنصرية وما يتولد عنها من حيوان وانسان ونبات ومعادن وما يتكون في الارض من العيون والزلازل وفي الجو من السحاب والبخار والبرد والبرق والصواعق وغير ذلك . . . . وفي مبداء الحركة للاجسام وهو على تنوعها في الانسان والحيوان والنبات " .

يذكر ان كتب ارسطو جيدة في هذا المضمار وان هذه العلوم قد ترجمت ايام المأمون والفي الناس على نظمها واحسن من الف في ذلك هو ابن سينا في كتاب الشفاء وقد تبعه مؤلفون آخرون وشرحت كتبه من قبل كثيرين . (٢٩)

##### ٦ - في علم الطب :

يقول ابن خلدون ان علم الطب فرع من فروع الطبيعيات وهو صناعة تنظر بجسم الانسان من حيث صحته او مرضه . وهو يساعد الانسان على الاستعانة بالدوية والاعذية الملائمة فسي

(٢٨) ابن خلدون ، ع.س. ص : ٤١١

(٢٩) ع.ن. ص : ٤١٢

حالات المرض والموافقة للمرض ويساعد على فهم عوارض المرض واسبابها ،  
ومعرفة طبيعة الانسان او تكوينه الطبيعي هو العامل الاساسي  
في حالتها الصحة والمرض. ودور الطبيب هو ان يعين هذه القوة الطبيعية  
بعض الشيء بحسب ما تقتضي طبيعة المادة والنصل والسن وهذا  
هو علم الطب بذاته ويقول : ان بعض الناس افردوا بعض اعضاء الجسم  
كالعين مثلا واعتبروه علما خاصا بذلك ، ولكن مع هذا فان كل هذه  
تعتبر موضوعا من مواضيع علم الطب . ثم يذكر ان جالينوس الذي  
يقال انه كان معاصرا للمسيح هو امام هذه الصناعة وله تأليف  
عديدة في هذا المضمار وقد اقتدى بها واتبعها جميع اطباء بعده .  
ويذكر بعض اطباء في الاسلام كالبرازي وابن سينا وغيرهم . ثم  
يقول ان الطب في البداية يختلف عما هو في اماكن العمران ذلك  
ان اهل البادية يبنون الطب على تجارب متوارثة ومأخوذة من  
مشايخهم قد يصح في بعض الاحيان الا انه ليس مبنيا على  
قانون طبيعي ولا على موافقة المزاج وهذا الطب كان رائجا عند العرب  
وكان فيهم اطباء معروفون كالحارث بن كلدة وغيره .

وهو يستبعد ان يكون الطب شئاً مشروعاً انه يدخل  
في المسائل الدينية التي تتعلق بالشرع والنبي لكنه يقول انه لا  
شك ان للاعيان اثرا كبيرا في الاستغادة والنفخ وحتى هذا لا يدخل  
في شؤون الطب . (٣٠)

## ٧- في الفلاحة :

الفلاحة هي صناعة من فروع الطبيعيات تنظر في النباتات  
من حيث نموه ونشوره والاعتناء بالمسقي والعلاج . وقد كان الاقدمون

ينظرون الى العناية به نظرة عامه من حيث غرسه وتنميته .  
وهظمت عنايتهم بالنبات لاعتقادهم ان ذلك يتعلق بروحانيات  
الكواكب والهياكل . وقد ترجمت كتب كثيره في ذلك من اليونانيين  
منها كتاب الفلاحة النبطية . اما الكتب التي تلت كتب الاقدمين فهي  
كثيرة في الفلاحة وفيها ما يتعلق في ذلك . (٣١)

#### ٨ - في علم الالهيات :

علم الالهيات هو علم ينظر في الوجود المطلق اى في كل  
الامور التي تتعلق في الوجود وهي كثيرة : -  
اولا : في كل الامور التي تتعلق بالجسمانيات والروحانيات من حيث  
ماهيتها ووحدتها وكثرتها وامكانيتها .  
ثانيا : في مبادئ الموجودات ثم في كيفية صدور الموجودات عنها .  
ثالثا : في احوال النفس عندما تغارق الاجسام . يقول هنا انهم  
يعتقدون ان هذا العلم علم شريف لانه يساعد على الاطلاع  
على معرفة الوجود وبذلك تتم السعادة على حد زعمهم .  
وياتي بعد الطبيعيات في الترتيب ~~هذا العلم~~ ولذلك يسمونه  
علم ما وراء الطبيعة ، ولقد كتب في ذلك ارسطو وتناقلت الناس ولخص  
من قبل كثيرين من الفلاسفة والحكماء مثل ابن سينا وابن رشد ثم  
جاء المتأخرون من المتكلمين في مسائل علم الكلام فزجوا علومهم  
بهذا العلم واصبحت كأنها فنا واحدا وجعلوا الكلام في الامور  
العامه في المقدمة ثم الحقوه بالجسمانيات والروحانيات وما يتبعها .  
فاصبح علم الكلام مختلطا بمسائل الحكمة . فحصل من جراء ذلك  
التباس في الناس . وهذا صحيح لان مسائل علم الكلام هي عقائده

اخذت من الشريعة دون الرجوع فيها الى العقل لان العقل مستقل  
عن الشرع وامثاله . وليس معنى اقامة الحج من قبل المتكلمين فيها  
هو البحث عن الحق فتعليل الامور بالادلة هي من شان الفلسفة  
وهي التماس حجة عقلية تقوى عقائد الايمان ومذاهب الاسلاف  
وتمنع دخول الشبهات اليها من اهل البدع بعد ان ادعوا انهم  
ادركوها بالادلة العقلية .

#### ١ - في علم السحر والطلسمات :

يصف هذه العلوم ابن خلدون بانها علوم واستعدادات تقوم  
بها النفوس البشرية للتأثير في عالم العناصر . وهي على نوعين : -  
الاول يدعى السحر ويتم تأثيره بدون المساعدة السماوية . والثاني  
الطلسمات ولا يتم تأثيره الا بمساعدة الامور السماوية .

يقول ابن خلدون كادت كتب هذه العلوم ان تكون مفقودة  
ذلك لان الشرائع لا تعترف بها لما فيها من ضرر واشياء تنافى  
والدين . لكنه وجد شئ من هذا في كتب الاقدمين قبل موسى  
عليه السلام مثل النبط والكلدانيين ، ولم يترجم الا القليل منها مثل  
كتاب الفلاحة النبطية . فاقبل الناس على هذا العلم وغننوا فيه ،  
ووضعت بعض الكتب في ذلك مثل مصاحف الكواكب السبعة وكتاب طمطم  
الهندي في صور الدرج والكواكب وغيرها . ثم ظهر احد كبار السحرة  
في المشرق وهو جابر بن حيان فبعد ان اطلع على هذه الكتب  
جميعها نقحها واستخرج اهم ما فيها ووضح في ذلك التأليف والكتب  
والف ايضا في صناعة السيميا . ولحقه بعده مسلمة بن احمد  
الجريطي امام اهل الاندلس في التعاليم والسحريات فلخص جميع  
هذه الكتب وجمعها في كتاب سماه "فاية الحكيم" ولم يتطرق احد  
بعده في البحث في هذا العلم . (٣٢)

ينتقل ابن خلدون بعد ذلك في البحث في حقيقة السحر فيقول ان النفوس البشرية على انواع • فكل انسان له صفاته الخاصة ولا يمكن الا وان يختلف كل واحد عن الآخر فنفس الانبياء لها خاصية تستعد بها للمعرفة الربانية ومخاطبة الملائكة • ونفوس الكهنة لها خاصية الاطلاع على المعجيات وهكذا فكل صنف مخفى بخاصية لا توجد في الآخر • وقد قسم النفوس الساحرة الى ثلاث : اولها النفوس المؤثرة بالهمة من غير مساعدة وتسمية الفلاسفة السحر • واما الثاني فنفس مؤثرة بمساعدة الافلاك او العناصر او قوى الامداد ويسمونه الطلسمات • واما الثالث فنفس تؤثر في القوى المتخيلة يعتمد صاحب التأثير اليها بالقاء فيها انواعا من الخيالات والمحاكاة ثم ينزلها الى الحس للناظرين بقوة نفسه المؤثرة ويسمى هذا الشعوذة او الشعبة •

ويعتبر ابن خلدون السحر كفرا لان الساحر يلجأ الى الافلاك والكواكب والشياطين بالتعظيم والخضوع والعبادة فهي لذلك جهة الى غير الله وهذا من الكفر •

وقد اختلفت نظرية العلماء الى السحر من جهة انه حقيقة ام هو تخييل ، فمنهم من اعتبره حقيقة وهو لا نظروا الى المرتبتين الاوليين وهما السحر والطلسمات ومنهم اعتبر انه تخييل وهو لا نظروا الى المرتبة الثالثة وهي الشعوذة • وابن خلدون يعتقد بانه لا يوجد اثر من السحر على العقلاء معتمدا على ذلك بما جاء في القرآن بان الشياطين علموا السحر للانسان وبذلك كفروا •

ويعطي ابن خلدون بعد هذا امثالا عن كيفية استعمال السحر عند البابليين والكلدانيين ويذكر الادوات التي كانت تستعمل في ذلك من الطيب والزيت وانواع المحلول وغيرها • ثم يعطى راي الشريعة بهذه الامور فيقول انها اعتبرت السحر والطلسمات

شيئا واحدا ولم تغرق بينهما لان كلاهما مضر ومفسد للعقيدة  
الايمانية لذلك خصته بالحظر والتحريم . (٣٣)

#### ١٠ - في علم الكيمياء :

"وهو علم ينظر في المادة التي يتم بها كون الذهب والفضة  
بالصناعة ويشرح العمل الذي يوصل الى ذلك فيتصفحون المكونات  
كلها بعد امرجتها وقواها لعلمهم يعثرون على المادة المستعدة  
لذلك حتى من العضلات الحيوانية كالعظام والريش والبيضة والعذرات  
فضلا عن المعادن . ثم يشرح الاعمال التي تخرج بها تلك المادة  
من القوة الى الفعل مثل حل الاجسام اما اجزائها الطبيعية  
بالتصعيد والتقطير ، وجمد الذائب منها بالتكليس وانها الصلب بالقهر  
والصلابة وامثال ذلك . وفي زعمهم انه يخرج بهذه الصناعات كلها  
جسم طبيعي يسمى سيمون الأكسيروانه نلقي منه على الجسم المعدني  
المستعد لقبول صورة الذهب او الفضة بالاستعداد القريب من  
الفعل مثل الرصاص والقصدير والنحاس بعد ان يحمى بالنار فيعود  
ذهبا ابريزا . ويكنون عن ذلك الأكسير اذا الغزوا في اصطلاحاتهم  
بالروح وعن الجسم الذي يلقي عليه بالجسد . فيشرح هذه  
الاصطلاحات وصورة هذا العمل الصناعي الذي يقلب هذه الاجساد  
المستعدة الى صورة الذهب والفضة هو الكيمياء . (٣٤)

بعد هذا التحديد الطويل لعلم الكيمياء يذكر ابن  
خلدون الذين القوا في هذا العلم قديما وحديثا بالنسبة لعصره  
ويذكر بعض اسما الكتب والرسائل في ذلك ثم يشرح بعضها  
تحت ما سموه علم الكيمياء .

---

(٣٣) ابن خلدون ، ع . س . ص : ٥٠٣

(٣٤) ع . ن . ص : ٥٠٤

## ١١- في علم اللسان العربي :

أركان هذه العلم هي أربعة : اللغة والنحو والبيان

والادب .

يقول ابن خلدون انه لا بد لمن اراد العلم بعلم الشريعة من ان يتعلم هذه الاركان من اللغة العربية لان العلم الشرعية مأخوذة من الكتاب والسنة وهي موضوعة في لغة العرب . واهم هذه الفروع الاربعة هو النحو ، لانه يبين اصول القاصد بالدلالة فيعرض الفاعل من المفعول والمبتدأ من الخبر ولا بد لدارس العربية من العلم به ذلك لانه لا يستطيع فهم الادب بدونه . بعد ان يحدد ماهية كل ركن من هذه الاركان يتحدث عن تاريخ تطورها وعن كيفية استخدام الاقدمين لها واساليبهم المختلفة في المصادر الاسلامية . ثم يذكر اهم من اشتهر بها كسيبويه وغيره . (٣٥)

يقول ابن خلدون ان اللغة السائدة في عصره انما هي نايبة عن قواعد العربية واوضاعها ، ومغايرة لصحيحها . واللغة ملكة لذلك وجب تعلمها واجادتها . ولكي يحصل المتعلم على هذه الملكة عليه ان يتبع الخطوات التالية :

١ - ان يبدأ المتعلم باللغة الفصحى ، لينطبق عليها لسانه وفكره ، فلا يحرف ولا يصحف ولا يلحن . " وانك لتجد سكان الامصار اشد افراقا في اللحن من سكان البوادي " . وسبب ذلك ان اهل الامصار تعلموا اول امرهم لغة ملحونة ، مغايرة لقواعد اللغة العربية ، منافية لمكتها ، لذلك فسدت لغتهم .

٢- على المتعلمين ان لا يتوهوا ان تعلم النحو وحده هو الوسيلة الوحيدة الى صحة العبارة ، لان اللغة الفصحى لا تدرك ادراكا صحيحا الا بمخالطة العرب الفصحاء والاستماع اليهم ، والتدرب والتعيرين على التحدث باساليبهم ، لان اللغة ملكة ، والملكات لا تكتسب الا بالتكرار والتعيرين .

٣- ان يحفظ من القرآن والحديث وما خلف العرب من شعر ونثر قدرا يقوم لسانه ويخولده لكسب الملكة ، حتى يصير لكثرة حفظه كانه قد نشأ فيهم .

٤- ان ياخذ نفسه بالتعبير عما يريد ، على نهج الاساليب العربية لانه كثرة الحفظ والاستعمال تجيد كلامه .

٥- لا بد للمتعلم الى جانب ما ذكر من سلامة الطبع ، وفهم منازع العرب واساليبهم ، وطرق تراكيبيهم . ثم لا بد له من ذوق راق يميز الكلام الجيد من الردي ، والبليغ من الفاتر .

٦- يشترط ابن خلدون في تعليم النحو ان يصحب بتطبيق ، لان تعلمه من غير تطبيقه عبث ، والفرق كبير بين الملكة اللغوية والصناعة اللغوية . فمن كانت لديه ملكة في اللغة وليست عنده صناعة لغوية فهو كمن يعرف صناعة يدوية معرفة نظرية لكنه لا يجيدها عمليا . ويقرر ايضا ان الذين يدرسون النحو مجردا من شعر العرب ونثرهم يحصلون على العلم صناعة لا ملكة . (٣٦)

يعتبر راي ابن خلدون في تعليم اللغة وجيها وبنيا اذا انه يتفق والتربية الحديثة ، لاننا بالتقليد نتعلم اللغة صغارا ونجيدها كبارا .



فالتقليد والتمرين ، وجودة التركيب وصحة النطق هي ولا شك أسس ثابتة لتعلم اللغة . فقد رأى فثريندو زعيم التربية الأدبية في إيطاليا أن احسن وسيلة لتعلم اللغة اللاتينية للأطفال أن يبدأوا بها منذ الطفولة ، يخاطبهم بها ، ويتحدثون مع اساتذتهم على أنه من الواجب على هؤلاء الاساتذة ان يهتموا ويعتدوا بتجديد نطقهم والقائمهم . كذلك لوثر فانه نصح المعلم ان يحصل الطفل على جودة النطق وصحته ، بل وأثر هذه العناية على عنايته بتدريس القواعد . والتربية الحديثة تعنى كل العناية على التطبيق ، لان دراسة القواعد والبلاغة لا تجدى ما لم تقتدرن بتمرينات ، وتعنى ايضا على تعليم القواعد النحوية والبلاغية في اساليب رائعة وعبارات متنوعة . (٣٧)

## ترتيب العلوم حسب اهميتها

رتب ابن خلدون العلوم حسب اهميتها للمتعلم وقسمها الى اربعة اقسام ووضع كل قسم منها في مرتبة مناسبة لضرورته وفوائده واسبقيته على غيره . اما هذه الاقسام فهي :

- ١- العلوم الشرعية بانواعها .
- ٢- العلوم الفلسفية كالطبيعيات والالهييات .
- ٣- العلوم الالية المساعدة لعلوم الدين كاللغة والنحو وغيرها .
- ٤- العلوم الالية المساعدة للعلوم الفلسفية بالمنطق .

وقد وضع ابن خلدون القسمين الاولين وهما العلوم الشرعية والعلوم الفلسفية في مرتبة واحدة وسماها بالعلوم المقصودة بالذات ، الا انه فضل العلوم الشرعية على العلوم الفلسفية لانها علوم "معصومة" ولانها تسد حاجات الانسان الحقيقية . وقد وضع اولا العلوم "الالية" المساعدة لعلوم الدين ثم تليها العلوم الالية المساعدة للعلوم الفلسفية . وقد نصح ابن خلدون بالتوسع في دراسة العلوم المقصودة بالذات ذلك لانها تساعد على فهم المادة وتسهيل حفظها .

اما العلوم الالية المساعدة للعلوم الشرعية والفلسفية فانه نصح بالالتزام بالدراسة الا من حيث هي آلة لغيرها من العلوم . ويعطي على ذلك مثالا فيقول ان من يحاول التبحر في علم النحو مثلا قد يمضي حياته كلها دون الوصول الى تحقيق هدفه وقد يوصى بالدارس الى الاحساس بالنقص والشعور بالفشل ذلك لانه لم يبلغ تحقيق ما عزم عليه . والافضل ان يلم المتعلم بالعلوم عموما الى حد ما حتى يكون تعليمه اوسع واشمل ، ويكون لديه الوقت الكافي للتعلم في دراسة العلوم المقصودة اذا سنحت له الفرصة فيما بعد .

ثم يستطرد قائلا بان الغاية من التعليم والالمام بالعلوم المختلفة ليس اعداد الاختصاصيين في نواحي العلوم الفيقة بل وهو وسيلة لاعداد التلاميذ لحياة طيبة جيدة . (٣٨)

ما يجدر ملاحظته هنا ان ابن خلدون بالرغم من انه اعتبر علم التاريخ من اهم العلوم التي يلزم ان يدرسها جميع الناس مهما كانت طبقاتهم والتي يتساوى في فهمها المتعلم وغير المتعلم ، لم يذكر هذا العلم لا تحت العلوم العقلية ولا تحت العلوم النقلية . وقد عامل ابن خلدون علم الجغرافيا وتقسيم الاقاليم وما يدخل في هذا الباب بالمثل فلم يدرجه ضمن اقسام العلوم المذكورة ايضا .

يتضح لنا من تقسيم ابن خلدون للعلوم على انه اتجه اتجاهات معينة في تفكيره يستوجب الاشارة اليها :-

اولا - اتجه نحو عدم التفريق بين العلم النظري والعلم العملي ذلك انه يقول ان كل صناعة او كل عمل يستدعي اكتساب مهارة فيه لا يمكن ان يتم الا بواسطة القوى العقلية والجسمانية معا ، وبهذه النظرية يتفق واجدث النظريات التربوية الحديثة .

ثانيا - اتجه نحو ايجاد التوازن بين علم الدين والعلم العقلية . ومع انه يضع العلم الدينية في المقدمة من حيث فائدتها للمتعلم ومساعدتها له في آن يحيا حياة فضيلة غير انه يضع العلم العقلية ايضا في موضع يوازي موضع العلوم الدينية وذلك لان العلم العقلية هي ثمرة العقل البشري الذي منحه الله للانسان وميزه عن غيره من ~~الحيوانات~~ <sup>المخلوقات</sup> .

ثالثا - يتجده ابن خلدون اتجاه آخر اختلف عما سبقه من المربين المسلمين وذلك انه جعل كسب العلوم وتعليمها وسيلة للارتزاق بينما ان الغزالي اعتبر ذلك عملا شائنا .

رابعا - يتجه في رأيه نحو جعل التعليم عاما شاملا لنواحي المعرفة المختلفة وينصح ان يتخصص الانسان في مجال واحد ضيق . وهذا التفكير ايضا هو من احداث الاراء التربوية الجديدة .

اما من كيفية تدريس العلم للاطفال فانه ينصح بعدة اشياء :-

١- ينصح بعدم الاكثار من العلوم التي تدرس للاطفال لانها تضر بقدمهم العقلي ولان ذلك فوق طاقتهم . وقد يجب ذلك مجزا عن الالمام به فيتولد عندهم الشعور بالنقص وهذا يفسر في بناء شخصيتهم .

٢- ويقول ايضا ان من الطرق الواجبة في التعليم ان لا نخلط على المتعلم علمين معا . فانه حينئذ قل ان يظفر بواحد منهما ، لما فيه من تقسيم البال وانصرافه عن كل واحد منهما بالخيبة . واذا غرغ الفكر لتعلم ما هو بسبيله ، مقتصرًا عليه ، ربما كان ذلك اجدر لتحصيله .

٣ - " ان كثرة التأليف في العلوم عاقبة من التحصيل " ، من يقرأ هذه العبارة لاول وهلة يجدها غريبة . ولكننا اذا تنبهنا الى عصر ابن خلدون وما كان يدرس فيه نجد انه كان يحتسب على الطلاب درس وحفظ جميع تلك المؤلفات ، واحدا بعد آخر .

٤ - ينصح ابن خلدون بان يعطى الاهمية الكبرى في تعليم اللغة العربية وجعل اساسا لكل علم وذلك ليتدرب الطفل على اجادة التعبير عن افكاره واهله باخذان الكتابة ودقتها . ثم يقول بان تقديم القرآن والعلماء الدينية على اللغة العربية من شأنه ان يخلط الامر على الصبي فيقرأ

ما لا يفهم ويخلط المعاني .

٥- ينصح ابن خلدون بتدريس العلوم المختلفة باللغة الأصلية لان التدريس باللغة الأجنبية يعتبر عاملا معطلا لانه لا يمكن للمتعلم ان يحقق فنيين في وقت واحد . كما وان دقة التعبير لازمة في دراسة العلوم المختلفة وذلك لا يتم اذا لم يكن المتعلم متكلما من اللغة التي يستعملها فيسهل عليه الفهم وعلى المعلم التفسير .

٦- ينصح ابن خلدون ايضا بعدم تعليم الاطفال علم المنطق لتعديده على التفكير الصحيح ، ذلك ان ما لا يفهمه الصغير يجب ان لا يتعلمه الا عندما ينفج عقله وتكويره . ويطبق هذه الطريقة ايضا على الدين والقرآن .

٧- عندما تكلم ابن خلدون عن الفلسفة بفروعها المختلفة واليادين التي تبحث فيها وصفها بانها علوم " عارضة في العمران كثيرة في المدن ، وضررها في الدين كثير فوجب ان يصدع بشأنها ويكشف عن المعتد الحق فيها " وليس من فائدة في الفلسفة الا من حيث هي مساعدة على تنظيم التفكير . فهو بذلك يناقض نفسه اذ انه اعتمد على الفلسفة في كثير من فصوله ليثبت نظرياته الاجتماعية . والى جانب الفلسفة فقد اعتبر ابن خلدون ان بعض العلوم مثل "علم النجوم" والكيمياء وعلوم السحر والطلسمات علوم فاسدة وضررها كثيرة .

## الفصل الثالث

لمحة من تاريخ التربية الإسلامية

## لمحة من تاريخ التربية الاسلامية

لم يكن غرض المسلمين من التربية دنيويا محضا كما كان عند اليونان والروم مثلا ، ولم يكن دينيا محضا كما كان عند الاسرائيليين في المصدر الاول ، وانما كان غرضهم دينيا ودنيويا معا . فقد كانوا ييغون اعداد المرء لعمله في الدنيا والاخرة . اما مصطفى امين فانه يقول معلقا على ذلك بان غرض التربية عند المسلمين كان تهذيب النفوس وتحصيل الفضيلة ، يدل على ذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم ارسل لهداية الناس وتاديبهم بأدب القرآن فكان اول معلم في الاسلام . وقد اثر عنه انه قال "بعثت لاتمم مكارم الاخلاق" . (٣٩)

اما الدكتور اسعد طلس فانه يقول : "لقد اختلف المؤلفون المسلمون وغير المسلمين في بيان الاهداف التي قصد اليها الاسلام من وراء حظه على العلم . فمنهم من قال ان اهدافه من وراء ذلك هي احياء شعائر الاسلام والقيام بفروضه لا غير ، ومنهم من قال ان اهداف الاسلام من التعليم هي اهداف دينية ودنيوية معا . ومنهم من قال ان وراء الهدف الديني والدنيوي هدفا ثالثا وهو هدف اللذة الروحية من العلم ، وذلك الهدف هو الذي يدفع صاحبه الى التعلم والبحث لا لشيء سوى البحث لا والتعلم لذاتهما مكثيا بلذة البحث من الحقيقة والتفتيش من دلائل المعرفة . وبعد ان يستعرض مختلف الاراء والاقوال الكثيرة بصدده ذلك يذهب الى القول بان كلها تدل على ان للعلم اهدافا غير الاهداف الدينية منها اهداف دنيوية واجتماعية ، ومنها اهداف سامية لا يبغي منها صاحبها الا العلم نفسه ، وهذا كان هدف عشرات من العلماء الذين بذلوا اعمارهم في سبيل

العلم والبحث ولم يقبلوا عليه اجرا ولا وظيفة ولا اباحوا لانفسهم ان يقبلوا  
درهما ولا دينارا في سبيل العلم والبحث امثال عشرات من الصحابة  
والتابعين". (٤٠)

### نشأة التعليم في الاسلام

كانت الدعوة الاسلامية صاحبة الففل الاكبر في خلق الحركة العلمية  
والتعليمية في المجتمع العربي . فقد حث الاسلام على العلم وامر بالتعلم .  
والايات القرآنية الواردة في هذا الشأن كثيرة متعددة ، وكلها ترفع قدر العلم  
وتعلي شأن العلماء وتمجد العقل والمعرفة .

ولما كان الاسلام هو النظام الموجه للحياة عند المسلمين بكافة مظاهرها  
فقد كان الالمام به ودراسته امرا لا بد منه لافراد الجماعة الاسلامية . والتعليم  
اول الوسائل لنشر الفكرة الاسلامية بين المؤمنين بها وشرحها لهم . ومن ثم  
كان التعليم امرا لازما للدعوة الاسلامية لتحقيق التربية الصحيحة التي  
تهدف اليها بحيث تتلام حياة الافراد مع المجتمع الجديد والدين الجديد .

ومن هذه النقطة بدأت فكرة التعليم في الاسلام لنشر الدعوة .  
ثم ان فكرة التعليم اختلطت في الاسلام بفكرة الوعظ والارشاد الديني حتى  
انه يمكننا اعتبار التعليم في القرن الاول للهجرة نوعا من المواعظ الدينية  
بنية تعريف الناس بدينهم واحكامه . فلا عجب اذا ان يتخذ التعليم في هذا  
الدور التكويني من حياته من المسجد موطنه له ومركزا يقيم به . وسرعان  
ما اصبح المسجد المركز الرئيسي للتعليم في المجتمع الاسلامي . (٤١)

---

(٤٠) اسعد طلس ، التربية والتعليم في الاسلام ، ص : ١٤٤

(٤١) محمد عبد الرحيم غنيمة ، تاريخ الجامعات الاسلامية ، ص : ٢٥



### مراحل التعليم عند المسلمين :

لقد تغيرت المراحل التعليمية عند المسلمين مع تطور الحضارة الإسلامية ، واختلاف العصور وتقدم الدول وتأخرها . كان التعليم كما قال أحمد أمين في كتابه " فحى الإسلام " مرحلة ابتدائية بالكتاب أو بالمعلمين الخاصين وتنتهي بان تكون حلقة بالمسجد . ثم تطور التعليم من حلقات المساجد ، الى مدارس منظمة جمعت عليها الاوقات لضمان حياتها . وبدأ هذا التطور في القرن الرابع الهجرى في زمن الفاطميين ، وازدهرت المدارس في عصر الدولة الايوبية والمماليك ثم تدهورت بعد ذلك . وكانت كتب العلم الجليلة الشان توقف على هذه المدارس ليسغيد منها الطلاب والمدرسون . (٤٢)

ويرى الأستاذ خليل طوطح ان التعليم مر في المراحل الآتية :-

- ١- المكتب او الكتاب
- ٢- الجامع
- ٣- مجلس العلم او مجلس الادب
- ٤- المدرسة او الكلية .

### سـن التعليم :

واما فيما يتعلق بالسـن الدراسية فانه يروى عن الرسول ( ص ) انه قال " اطلبوا العلم من المهد الى اللحد " . وعلى هذا فلم تكن هناك سن محدودة لطلبه العلم ، بل كان كل مسلم يدرك ان من واجبه ان يطلب العلم ما اتيح له ذلك في اى فترة من فترات عمره ، حتى ولو كان شيخا تقدمت به السن . ومع هذا فقد كان العربون المسلمون يدركون ان التبكير في تلقي العلم كبير الفائدة وعظيم الجدوى لنشاط

---

(٤٢) احمد فؤاد الاهداني ، التربية في الاسلام ، ص : ٥١

الجسم ، صفاء النفس وفراغ البال • ولذلك نجد ان اقبال الطلاب على حلقات العلم وهم في سن مبكرة ساعدهم على الخدمة في كثير من العلوم وصلوا بذلك الى مراكز علمية مرموقة وهم في مطلع الشباب ومقتبل العمر . (٤٣)

#### تصوير حالة التعليم :-

يبحث الصبي في اول الامر الى الكتاب اذا عقل • ولقد كانت هذه الكتاتيب منتشرة في انحاء المدن والقرى ، فاحيانا تكون الى جوار المساجد واهيانا بعيدة عنها ولكنها لا تكون في داخلها •

ويقوم بتعليم الكتاب معلم ، وقد يشترك معلمان او اكثر في التعليم اذا ازداد عدد الصبيان •

يفتح المعلمون هذه الكتاتيب دون ان يكون للحاكم منها امر او نهى ، ويدفع الاباء بابنائهم حسب رغبتهم ويتلقى هؤلاء الابناء التعليم مقابل اجر يدفعونه الى المعلم شهريا او سنويا او بمقدار ما يتعلم الولد •

ولقد كانت هذه الكتاتيب امكنة متوافعة تتسع لعدد الصبيان الذين يشرف عليهم معلم واحد وربما كانت حانوتا او منزلا في بعض الاحيان . (٤٤)

يتعلم الصبي اثناء دراسته التي قد تستمر الى وقت البلوغ او بعده بقليل القرآن والكتابة والنحو والعربية • وقد يتعلم الى جانبها الحساب والشعر واخبار العرب • فاذا اخطأ الصبي في الكتابة والهجاء والحفظ ، او اهل او انصرف الى اللعب والعبث دون الدرس والعلم ، او هرب من الكتابة ، عاقبه المعلم بالنصح اولا ، والتهديد ثانيا ، والضرب اخيرا اذا لم تتجح نصائحه وتهديده له •

وبعد ان يتم الصبي مرحلة التعليم في الكتاب ، يجري امتحانا فيما

---

(٤٣) احمد شـلبي ، تاريخ التربية الاسلامية ، ص : ٢٨٨

(٤٤) احمد فـوامه الـهـوانسي ، التربية في الاسلام ، ص : ٥٢

حفظ من القرآن وفي الكتابة • واختبار حفظ القرآن كله يعرف بالختمة • وبعد الامتحان يقرر اما ان يتابع دراسته ويتجه الى مرحلة تعليمية ارقى من الاولى او يتجه الى الصنافة التي توفر له كسب العيش •

فالكتابة والمعلم والصبي والقرآن هي الاسس الاربعة التي كان يقوم عليها التعليم الاول كما يروى الاهواني عن القابسي الذي يمثل الصورة العلمية الصحيحة في القرن الرابع الهجري او العاشر الميلادي . (٤٥)

### مناهج واساليب المسلمين في التعليم :-

كان القرآن عند المسلمين منبع الدين واساس العلوم الاسلامية ولذلك جعلوه اصلا في التعليم واساسا في التربية • وليس هناك من اختلاف على ذلك ، انما حصل الاختلاف في مناهج التعليم ومواده بالنسبة لاختلاف الامصار •

ففي المغرب كانوا يقتصرون في تعليم اولادهم على مدارس القرآن ، ولا يخلطون ذلك بشئ اخر من حديث او فقه او شعر او اخبار حتى يحدقوا الولد • ويسيرون على هذه الخطة مع الكبار ايضا فيراجع مدارس القرآن ايضا ولذلك كان اهل المغرب اقدم على رسم القرآن وحفظه من سواهم • اما اهل الاندلس فهم الى جانب تعليمهم القرآن يضيفون اليه رواية الشعر والترسل وقوانين العربية ورواية الاخبار والكتابة وتجويد الخط وكذلك الحساب وتقويم البلدان •

اما اهل الشرق (العراق وما جاورها من البلاد الاسلامية ) فكانوا ينوون كاهل الاندلس ، الا انهم يختلفون عنهم من جهتين • فقد كانت عنايتهم بمدارس القرآن غفوق عنايتهم بالعلوم الاخرى • وان الخط لم يكن من الفنون التي يقرن تعليمها بتعليم القرآن ، وانما كانت له معاهد

---

( ٤٥ ) احمد فؤاد الاهواني ، التربية في الاسلام ، ص : ٥٣

ومعلمون على انفراد كسائر الصناعات .

اما مناهج الدراسة في المدارس العالية ، فقد كانت غاية في الروى والتقدم ، ذلك انها كانت تشمل غير العلوم الشرعية واللسانية الحساب والهندسة وحساب المثلاث والطبيعيات والفلك وعلوم الحياة والطب والتشريح والمنطق والالهييات . وكان كل علم من هذه العلوم يدرس دراسة عملية متقنة تبث في متعلميها روح البحث والتقيب ، وتقودهم الى الجليل من اعمال الكشف والاختراع . (٤٦)

#### تكافؤ الفروض في التعليم :-

كانت فرص التعليم في العالم الاسلامي مكفولة للغني والفقير على حد سواء ، والفقير لم يقف عائقا امام الراغب في العلم او الساعي لارتشاف المعرفة .

والتعليم الاسلامي ابتداء في اول الامر بالمسجد . وكان مفتوحا للناس جميعا وكانت حلقاته معدة لاستقبال الطلاب لتعليمهم بالمجان دون قيد او شرط . وعلى المدرس الا يكون في مجلسه مكان مميز لاحد من الناس ، بل ان يكون الجميع عنده سواء . وعلية ايضا ان يعامل الفقير معاملة الغني . وقد كان الطلاب بدورهم يفهمون هذه الناحية فهما صحيحا ويعملون بحسبها . (٤٧)

وكانت توجه عناية خاصة للطلاب الموهوبين الذين تبدو عليهم علام الذكاء والفتنة . وكان يعد من الظلم ان يحرم طالب نابغ من تلقي العلم لاي سبب كان من الاسباب . وكانت عناية المدرسين بتلاميذهم الفقراء تصل بهم الى حد الانفاق عليهم من مالهم الخاص . ولم يكن المدرسون وحدهم هم

---

(٤٦) مصطفى امين ، تاريخ التربية ، ص : ١٧١

(٤٧) احمد شلبي ، تاريخ التربية الاسلامية ، ص : ٢٧٨

الذين اتجهوا برعايتهم للطلاب الفقراء بل حظي هؤلاء بنصيب موفور من اوقاف الاغنياء على الطلاب . وكان لهذا كله اثر كبير في حالة التعليم الاسلامي اذ ظهر من بين المسلمين عدد كبير من العلماء الافذاذ الذين ينتمون الى طبقة الكادحين الفقراء من الشعب منهم : ابدو تمام الطائي الشاعر المعروف ، والجاحظ ، والامام الشافعي وغيرهم .

ولما نشئت المدارس في العالم الاسلامي كانت فرصة الفقيرو لتلقي العلم اوضح واشمل لان منشئ المدارس كانوا يعلمون ان اغلب النابغين في العلم هم من الفقراء . ولقد اتسعت هذه الفرص عندما اعلن نظام الملك ان التعليم بمدارسه حق للجميع . ولم تكن اتاحة الفرص مكفولة فقط في المدارس والمساجد ، وانما كانت مكفولة ايضا في الكتاتيب حتى يستطيع التلميذ ان يتابع طريقه في طلب العلم . (٤٨)

#### توجيه التلاميذ على حسب مواهبهم :-

عرف المسلمون في العصور الوسطى فكرة توجيه التلميذ على حسب مواهبهم ، وكانت عملية التوجيه هذه تبدأ بعد ان يجتاز التلميذ المرحلة الاولى للتعليم وهي ان يعرف شيئا من العلوم الضرورية في الحياة كالقراءة والكتابة والحساب . ثم عليه بعد ذلك ان يتجه الى العلم او الحرفة حسب استعداده وتكوينه .

وينبغي للطالب كما يقول الزرنوجي الا يختار نوع العلم بنفسه بل يفوض امره الى الاستاذ فهو اعرف بما ينبغي لكل واحد وما يليق بطبيعته . وفي منهاج المتعلم يقرر انه يجب على المعلم ان يشخص طبيعة المبتدئ من الذكاء والقبادة ويعلمه على حسب طاقته ولا يكلفه فوق ذلك

لأنه اذا كلف ثيس من تحصيل العلم .

ويقول احمد شلبي : "واذا غلبت القوة البدنية على النفس يحتاج المتعلم الى زيادة التعلم وطول المدة ، واذا غلب نور العقل على اوصاف الحس يستغني الطالب بقليل التفكير عن كثرة العلم " . وعلى هذا فان من واجب المدرس " الا يشترك الذكي مع الفبي في التلقي فهو تخصيص في الذكي وارهاق للفبي " . (٤١)

كان العربون يعتمدون على التجربة في طرق اختبارات الذكاء ، فهم يعلمون الطفل ثم يحكمون عليه بمقدار النتيجة التي يستطيع ان يحصل عليها . كما كانوا يختبرون ذاكرة التلميذ ليروا ميله الى الحفظ ، او التعمق والتفكير ، فان كان يميل الى الاولى فيدرس علم الحديث ، وان كان يميل الى الثانية فيدرس الفلسفة والمناظرة وعلم الجدل والكلام .

واذا وجه التلميذ او التحق بحلقة دون توجيه ، ورأى المدرس في هذه الحالة او تلك ان التلميذ ينبغي له ان يفارق هذه الحلقة الى سواها ، فان المدرس لا يتردد في ان يخبر التلميذ بهذه النتيجة وينصحه بتغيير الموضوع الى موضوع اخر . (٥٠)

### المؤسسات التعليمية

كانت المستاجد والكاتيب وبعض الاماكن العامة والخاصة هي المؤسسات العلمية الاولى عند العرب في عهد رسول الله وخلفائه الراشدين ، وفيها كان المسلمون الاولون يتلقون ايات الكتاب المبين ، وعلم الفرائض والدين وكان العلماء والمتعلمون يتذاكرون في المسجد النبوي بالمدينة ، والمسجد

---

(٤١) احمد شلبي ، عربي ، ص : ٢٨٢

(٥٠) عربي ، ص : ٢٨٨

الحرام بكفة ، والمساجد الأخرى في سائر العالم الإسلامي وفي الدور والمجالس  
أنواعاً مختلفة من العلم من دين وأدب وتاريخ وسير ومواعظ وعبر .

ولما انتقلت الخلافة الإسلامية إلى بني أمية انشئت إلى جانب  
تلك المؤسسات العلمية مواطن جديدة للتعليم وهي قصور الخلفاء والأمراء .  
وكانت هذه القصور والدور عوناً لتلك الأماكن العامة والخاصة في نشر العلم  
وتسهيل سبل تعليمه وتعميمه . فقد كانت تعقد فيها كثير من حلقات  
الأدب والعلم والفقه والحديث والحكمة ، كما كانت تقدم بعض الحلقات العلمية  
في بعض الطرقات والأسواق . وقد ظلت هذه الأماكن جميعاً من مساجد  
وخدائن وكتب وقصور ودور وطرقات مراكز الحركة العلمية في البلاد الإسلامية  
منذ فجر الإسلام إلى أن ظهرت المدرسة بمعناها الصحيح في أواخر القرن  
الرابع للهجرة . (٥١)

### نشوء الجامعات :

شعر العرب بضرورة التعليم الجامعي في تدريس علومهم الخاصة .  
وكان لهم في الاختبار السابق أساليب أفادوا منها في انشائهم التعليم  
الجامعي . ومناهج رسوبها في العرض والتعليق . وكان هدفهم الأول التعليم  
الديني أصولاً وفروعاً . كما فعل أرباب المدارس القديمة من قبلهم ومنشئو  
الجامعات الأوروبية في القرون الوسطى . وكان لا بد من الابتداء بالدروس  
اللغوية النحوية والأدبية منظمة حيناً في معاهد خاصة من نوع المدارس  
الابتدائية والثانوية . ومطلقة أحياناً في الحلقات والمجالس ، يعقد أماً  
في المساجد أو في دور خاصة . وقد انتشرت هذه الحلقات في العصر  
العباسي منها حلقات القصاصين يروون أخبار الأنبياء وقصص الأمم ، ومنها  
حلقات المفسرين يجتهدون في الشرح والتأويل عاملين على حل بعض المشاكل

اصلا وفعلا ، ومنها مجالس النظر والمناقشة في مختلف انواع المعرفة لغية ونحوها وكلاما . ( ٥٢ )

اما المدارس البادية على شئ من التنظيم ، فقد عرفت منذ اوائل العهد الاموي في مدن وقرى عديدة . وطبيعي ان ترتقي هذه المدارس شيئا فشيئا ، فتتميز علوم العربية متفرعة الى قواعد الصرف والنحو ، ثم البيان ، والفصاحة ، والبلاغة ، والخطابة ، والعروض ، والادب من شعر ونثر .

لقد كان العلم الديني موضوع التعلم ، وكان على ما يبدو محور التعليم الجامعي فيتناول : القرآن ، القراءات والتفسير ، الحديث ، الاصول ، الفروع ، سيرة الرسول والابحاث الكلامية على مختلف وجوهها .

واما ما سوي هذا العلم الديني ، كالطب والرياضيات والفلسفة والفلك ، فكان العرب يسمونه " بالعلوم القديمة " او " علوم الاوائل " او " علوم الحكماء " ، ثم " بالعلوم الدخيلة " على نحو ما جاء في " الفهرست " ، وطبقات الامم " وتاريخ مختصر الدول " . ولم يكن مجالها لتدريسه اول الامر في المدارس الجامعية الا ما تعلق منه من مواد المنهاج الديني كالحساب بالنسبة للفرائض في علم الموارث . ( ٥٣ )

هناك ثلاث جامعات كان لها اهمية كبرى في العالم الاسلامي ، بالنسبة لبقاى المدارس الكبرى . وهي الازهر بالقاهرة والنظامية والمستنصرية في بغداد .

#### ١ - الازهر :

دعي كذلك تيمنا باسم فاطمة الزهراء ، جدة القاطمين خلفاء مصر . وقد انشاه سنة ١٢٠ المعز لدين الله ، فاتح مصر وبياني القاهرة ، على يد قائد جيوشه جوهر الصقلي ، انشاء مسجدا للصلاة ،

---

( ٥٢ ) فؤاد افندى البستاني ، " الجامعة في العالم العربي " ، الابحاث . ص : ١١٥

( ٥٣ ) عمن . ص : ١١٦



ومركزا ثقافيا تعليميا لتدريس مبادئ الشيعة ونشر الدعوة الفاطمية .

ثم اتسعت المهمة التدريسية ، فعين لها عدد من الاساتذة وافردت لهم المساكن الخاصة قرب الجامع منذ سنة ١٨٨٨ بناءً على طلب الوزير يعقوب بن كلس .

وقد انحصر التدريس في بادئ الامر بشكل محاضرات عامة تلقى مرتين في الاسبوع . ثم تناول دروسا منظمة تعقد في سبيلها مجالس للبحث والمناقشة في الجامع او قصر الخلافة . وكان قاضي القضاة يراس بعض هذه المجالس كما ان داعي الدعوة كان يراس المجالس الخاصة باعداد المبشرين . كما انه كانت تعقد مجالس خاصة في الازهر للنساء .

ولما انتشر خبر ذيوع الازهر ونجاحه قلق السلاجقة لذلك وقرروا ان يواجهوا الامر بمثله . فانشاء ملكهم نظام الملك المدرسة النظامية في بغداد التي كانت الفاية الاولى منها مقاومة الازهر . وقد ظل الازهر يزدهر ويمثل امته دعامة للثقافة الفاطمية واكبر مدرسة دينية للشيعة في العالم الاسلامي حتى سنة ١١٧١ عندما قضى صلاح الدين الايوبي على خلافة مصر وامس الدولة الايوبية واطر السنة مذهباً رسمياً للدولة الجديدة . عندها اقبل الازهر لكنه فتح من جديد كمدرسة لتدريس المبادئ السنية على المذهب الشافعي . ثم اضيفت سائر المذاهب السنية الى منهاج التدريس وادخلت فيها العلوم التمهيدية من لغة ونحو ومعان وبيان . واخذ الطلاب يغاطرون اليه من مختلف البلاد الاسلامية وبلغ اوج مجده فسي القرون الوسطى حتى اواخر القرن الرابع عشر . ثم بدأ بالانحطاط شيئاً فشيئاً ثم تغير حاله الى ما هو عليه الان . (٥٤)

## ب - المدرسة النظامية :

انشأها في بغداد ابو علي الحسن بن علي بن اسحق الطوسي المعروف بنظام الملك . وكانت غايته مقاومة الدعوة الفاطمية والمحافظة على السنة بنشر المذهب الشافعي والكلام الاشعري . افتتحت سنة ١٠٦٢ بحضور الخليفة القائم بأمر الله . وسرعان ما ازدهرت وانتشرت فروعها بفضل الحماسة الدينية والاقواف التي خصصت لاجلها . وكان من عمل نظام الملك في مقاومة الدعوة الفاطمية ، ان انشاء عدة مدارس في مختلف انحاء العالم الاسلامي على غرار النظامية وباسمها . والى جانب كل مدرسة مكتبة عامرة ولكنها ليست كذلك بالنسبة للنظامية الكبيرة .

اما مواد التدريس فكانت : القرآن والعلوم القرآنية ، الحديث وعلومه ومصطلحاته ، اصول الفقه الشافعي ، علم الكلام الاشعري ، الفرائض والحساب ، العربية وعلومها ، الادب وفنونه . (٥٥)

كان الاستاذ يعين بعرض وزير وكان على الخليفة ان يوافق عليه وذلك بخلفة يخلعها الخليفة على الاستاذ وتكون شعار مهمته الجديدة . وكان على الاستاذ ان يقيم وليمة ابتهاجا بذلك كما وانه يحتفل هو وتلاميذه والادارة بالقاء درسه الاول ، وكان الشعراء يحضرون هذه المجالس احيانا ليتسنى لهم مدحهم وتقديرهم . وقد كان معظم اساتذة النظامية من اقطاب العلم والفضل سواء منهم من اشتهر في العلوم الدينية ومن عرفوا بالتقدم في العلوم الادبية واللغوية كالخطيب التبريزي ( ١٠٣٠ - ١١٠١ ) ، وابي الجواليقي ( ١٠٧٢ - ١١٤٥ ) وابي البركات الابرار ( ١١١١ - ١١٨٢ ) صاحب طبقات الادباء .

ومن تلامذة هذه المدرسة ابن عساكر ( ١٠١٧ - ١١٢٥ ) صاحب تاريخ

دمشق الكبير ، والعماد الاصفهاني (١١٢٣ - ١٢٠٠) مؤرخ السلاجقة وابن ابي الحديد (١١٦٠ - ١٢٥٨) شارح نهج البلاغة وغيرهم . (٥٦)

### ج - المدرسة المستنصرية :-

تعد مؤسسة للتعليم العالي اقرب الى الفكرة الجامعية من حيث اتساع نطاق التدريس ، ومن حيث الهدف الموجه لهذا التدريس . كانت هذه المدرسة تتألف من ثلاث دور ، دار القرآن ، ودار الحديث ، ودار الكتب ، وقاعة فسيحة لتدريس الفرائض والحساب والهندسة . وكان فيها جناح خاص لتدريس الطب والصيدلة واصلول الصحة والعلوم الطبيعية . وقد أسسها الخليفة المستنصر سنة ١٢٢٢ في الجانب الشرقي من بغداد في الحي الذي قامت فيه المدرسة النظامية .

وبما امتازت به المستنصرية فوق تخصيص القاعات كلا لتدريس مادة هرفت بها ، نظام دقيق شمل حتى عدد الطلاب المقبولين في كل فرع من الفروع . وكان ذلك منذ تأسيس المدرسة . فان الخليفة المستنصر رأى الا يتجاوز عدد طلابها ٣٠٨ ، منهم ١٠ طلاب في فرع العلوم القرآنية ، ١٠ في فرع الطب ، ٣٠ في فرع الحديث ، ٦٢ في فرع كل من المذاهب الفقهية الاربعة . وكان النظام فيها داخليا .

لقد توالى الاحداث والكوارث على المستنصرية كما حدث للنظامية من فيضان دجلة واعتداءات المشايخين حتى خرجت تماما في اثناء الفتح المغولي سنة ١٢٥٨ . لكن الفاتحين انفسهم اعادوا بناؤها بعد مدة ، فاستأنفت تدريسها حتى وصول العثمانيين ، فحولوها الى خان كما يبدو اثره الى اليوم . (٥٧)

---

(٥٦) فؤاد افرايم البستاني ، ع.س.س. ص : ٢٠٥

(٥٧) ع.ن.س. ص ٢٠٦

خلاصة القول ان هذه المدارس كانت مراكز اشعاع او منبعها تدفع  
منه الحركة العلمية والثقافية ، فتنتشر في المدن والحواضر المهمة حتى  
تخلق جوا من الرغبة في البحث والنظر والفهم العلمي الفلسفي اللاهوتي  
يعود بالخير على الاختصاصيين . (٥٨)

## العلم والحركة المدرسية في الاندلس

كانت الاندلس في عهد العرب كعبة العلم يحج اليها اذكياء الطلاب من فرنسا وايطاليا وغيرهما كما يحج اليوم طلاب العلم الى كليات اوربية مختلفة .

كانت الاندلس قبل تغلب بني امية عليها سنة ١٢ هـ خالية من العلم ، لم يشتهر احد من اهلها بالاعتناء به . الا انه يوجد فيهما طليعات قديمة في مواضع مختلفة ، وقع الاجماع على انها من اعمال ملوك رومية اذ كانت الاندلس منتظمة بملكتهم . ولما استقر الامر لبني امية عني جماعة من اهلها بطلب الفلسفة ونالوا اجزاء كثيرة منها . وفي ايام الامير الخامس من بني امية توجه بعض منهم الى طلب العلم غير علوم الشريعة واللغة . ولقد كان رجال الدين اصحاب صولة وتأثير فتوهم البعض منهم ان هذه العلوم الدنيوية مدرجة الى الزهد في العلوم الاخرية فكانوا يتكبرون لمن كان يتعاطاها لذلك ظهرت تلك العلوم ظهورا شائعا (٥١) .

واما فيما يتعلق بالمدارس ، فقد انشئت اول مدرسة في غرناطة سنة ٢٥٠ هـ في زمن يوسف الاول من ملوك دولة بني الاحمر تخليدا للمدارس المغربية . وقد كان لاضطراب الاحوال في الاندلس بعد انقضاء الدولة المروانية بها وما تعاقب عليها بعد ذلك اثر كبير في عدم تهيئة الفرصة للاصلاح والانشاء في تلك البلاد ، وذهبت جهود اهلها وحكامها وفاتحها من المغاربة في مدافعة النصرانية الغالبة والامارات المسيحية الزاحفة .

وقد كان التعليم بالاندلس طيلة حياة الاسلام بها مسجديا  
بالمساجد الجامعة بحواجز البلاد والمساجد الصغيرة . وفي بعض الحالات  
كان بعض العلماء يقومون بالتدريس وقراءة الكتب في منازلهم الخاصة . (٦٠)  
ومن اشهر الجوامع في الاندلس الجامع الاعظم بقرطبة .

بدأ بناء عبد الرحمن الداخل مؤسس الدولة الاموية بالاندلس  
على نبط جامع دمشق سنة ١٢٠ هـ . وكان العصر الاموي بالاندلس ازهى  
عصور هذه الجامعة فازدهرت بها الدراسات تحت رعاية امراء بني امية  
وخلفائهم حتى اصبحت اكبر مراكز الفكر الاسلامي بالاندلس وواحدة من  
قلاع العلم في الدنيا جميعا . ولكن الفتن التي اجتاحت الاندلس بعد  
سقوط الدولة المروانية ثم سقوط قرطبة فيما بعد في ايدي الاسبان كل  
اولئك قضى على تلك الجامعة الممتازة . وتحولت بعد ذلك الى كاتدرائية . (٦١)

نبغ في الاندلس عدد كبير من الفلاسفة والادباء والعلماء  
والمفكرين . ومن اشهرهم في الفلسفة ابو الوليد بن رشد القرطبي وفني  
علم الموسيقى ابو بكر بن باجة الغرباطي وفي علوم العدد ابو غالب بن عباد  
الفرائضي وفي الهندسة الكرمانسي وفي العلوم ابو الوليد هشام بن احمد بن  
هشام بن خالد الكنانسي وفي الفلسفة ايضا ابو بكر محمد بن يحيى بن الصائغ  
المعروف بابن باجة وفي التاريخ ابن حيان وابن خلدون وابن الخطيب  
وغيرهم . (٦٢)

هذه نظرة موجزة عن حالة العلم في الاندلس وسنذكر الى  
جانب هذا فيما بعد طريقة اهل الاندلس في تعليم العلم كما وردت على  
لسان ابن خلدون في المقدمة .

---

(٦٠) محمد عبد الرحيم فنيمة ، تاريخ الجامعات الاسلامية ، ص : ١١٥

(٦١) ع . ن . ص : ٤٢

(٦٢) محمد كرد علي ، العلم في الاندلس ، المجمع العلمي العربي ، ص : ٢١٦

## امور المدارس واحوال التعليم في عهد كتابة المقدمة كما عرضها ابن خلدون

من خلال قراءة المقدمة يتبين لنا ان ابن خلدون قد اشار الى بعض الاحوال والامور التعليمية في عصره وهذه هي اهم النقاط التي وردت :

١ - يتبين لنا ان التعليم كان حرا وكان للفرد الحق الكامل في ان يختار المكان الذي يريد ان يتلقى العلم فيه دون قيد او شرط حكومي او سلطاني . وكان له الحق في ان يزاول التعليم في المساجد ايضا .  
" للمدرس الانتصاب لتعليم العلم وبثه والجلوس لذلك في المساجد " .

لقد كان هناك صنفان من المساجد : مساجد عظيمة معدة للصلوات المشهودة ويرجع الامر فيها للخليفة ، ومساجد اخرى دونها مختصة بقوم او محلة وامرها راجع الى الجيران . فاذا اراد المدرس التدريس في المساجد العظيمة كان عليه ان يستشير الخليفة او السلطان في ذلك . واما اذا اراد التعليم في الصنف الاخر فلا يحتاج لذلك الى اذن من احد .

ومما يجدر بالذكر ان اصحاب الخير من الاغنياء كانوا يشيدون بعض البنايات المختصة للتدريس ويخصصون الاوقاف للمعلمين والمتعلمين . وكانت صلاحية التعليم في تلك المدارس تتعين وفق الشروط التي يشترطها الواقفون .

اما فيما يتعلق بمدة الدراسة فلم تكن معينة في المدارس

كبيرة كانت او صغيرة . غير ان المدة المعينة " لسكنى طلبة العلم بالمدارس كانت محدودة ، انها كانت ست عشرة سنة في المغرب وخميس سنين بتونس " ، والمدة المعينة لذلك في مدارس المغرب طويلة نظرا لوداعة طرق التعليم المتبعة فيها كما قال ابن خلدون .

اما مهنة التعليم فقد كانت تعد من مهن المستضعفين :  
 " ان التعليم لهذا العهد من جملة الصنائع المعاشية البعيدة من اعتزاز اهل العصيبة . والمعلم مستضعف مسكين منقطع الجزم " . (٦٣)  
 لكنه عاد فاشار الى ان التعليم في صدر الاسلام وفي عهد الدولتين لم يكن كذلك : " ولم يكن العلم بالجملة حينئذ صناعة ، انما كان نقلا لما سمع من الشارع ، وتعلينا لما جهل من الدين على جهة البلاغ . فكان اهل الانساب والعصيبة الذين قاموا بالملحة هم الذين يعلمون كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، على معنى التبليغ الخبري ، لا على وجه التعليم الصناعي " . (٦٤)

" وكانوا يحرصون على تبليغ ذلك وتفهيمه للامة ، لا عديمهم عنه لائمة الكبر ، ولا يدعمهم عاذل الانفة . . . ولكن حينما استقر الاسلام ووشجت عروق الملحة حتى تناولها الامم البعيدة من ايدي اهلها ، واستحالت بمرور الايام واحوالها ، وكثر استتباط الاحكام الشرعية من النصوص ، لتعدد الوقائع وتلاحقها . فاحتاج ذلك السبي قانسون يحفظه من الخطاء ، وصار العلم ملكة تحتاج الى تعلم . فاصبح من جملة الصنائع والحرف . . . واشتغل اهل العصيبة بالقيام بالملك والسلطان ، فدفع العلم لمن قام به من سواهم . واصبح حرفة للمعاش ، وشملت انوف المترفين واهل السلطان للتعدي للتعليم ، واخص انتحاله بالمستضعفين ، وصار منتحله محظرا عند اهل العصيبة والملك " . (٦٥)

(٦٣) ابن خلدون ، تاريخ العلامة ابن خلدون ، ص : ٤٦

(٦٤) م . ن . ص : ٤٦

(٦٥) م . ن . ص : ٤٧



٢- يتبين لنا ايضا ما كتبه ابن خلدون في المقدمة ان تعليم الولدان في البلاد الاسلامية كان يستهدف قبل كل شيء تكيين المتعلمين من قراءة القرآن الكريم مع حفظه كله او شيء منه . وسبب ذلك هو اعتقاد اهل الملة بضرورة تعلم القرآن في اول الامر ليرسخ الايمان في القلوب والنفوس . ومع هذا فقد اضافت بعض البلدان الى جانب تعليم القرآن شيئا من الحديث والفقه ، والخط والكتابة ، ثم اصول الشعر واللغة والاداب وقد اضافوا الى كل ذلك في بعض البلاد الحساب ايضا .

يميز ابن خلدون في هذا المضمار اربعة مذاهب اساسية ، اخصى بكل منها احد الاقطار الاسلامية وهي : الاندلس ، المغرب ، افريقية ، المشرق .

أ- اهل المغرب " مذهبهم في الولدان الاقتصاد على تعليم القرآن فقط . واخذهم اثناء الدراسة بالرسم ومثله واختلاف حملة القرآن فيه ، لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم ، لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب ، الى ان يحدث فيه او ينقطع دونه ، فيكون انقطاعه في الغالب انقطاعا عن العلم بالجملة . وهذا مذهب اهل الامصار بالمغرب ومن تبعهم من قرى البربر اسم المغرب ، في ولدانهم ، الى ان يجاوزوا حد البلوغ الى سن الشببية ، وكذا في الكبر ، اذا راجع مدارس القرآن بعد طائفة من عمره ، فهم لذلك اقوم على رسم القرآن وحفظه من سواههم . " (٦٦)

ب- " واما اهل الاندلس فمذهبهم تعليم القرآن والكتاب من حيث هو ، وهذا هو الذي يراعونه في التعليم ، الا انه لما كان القرآن اصل

ذلك واسء ومنبع الدين والعلم جعلوه اصلا في التعليم ، فلا يقتصرون لذلك عليه فقط بل يخلطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر في الغالب والترسل واخذهم بقوانين العربية وحفظها وتجويد الخط والكتاب . ولا تخص عنايتهم في التعليم بالقرآن دون هذه بل عنايتهم بالخط اكثر من جميعها الى ان يخرج الولد من عمر البلوغ الى الشبيبة وقد شذبا بعض الشيء في العربية والشعر والبصر بهما ، ويرز في الخط والكتاب وتعلق باذيال العلم على الجملة . - (٦٧)

ج - واما اهل افريقية فيخلطون في تعليمهم للولدان القرآن بالحديث في الغالب ومدارسة قوانين العلم وتلقين بعض مسائلها ، الا ان عنايتهم بالقرآن واستظهار الولدان اياه ووقوفهم على اختلاف رواياته وقراءته اكثر مما سواه . وعنايتهم بالخط تبع ذلك . - (٦٨)

د - واما اهل المشرق فيخلطون في التعليم كذلك على ما يبلغنا . ولا ادرى بم عنايتهم منها ، والذي يتقل لنا ان عنايتهم بدراسة القرآن وصحف العلم وقوانينه في زمن الشبيبة ولا يخلطون بتعليم الخط ، بل لتعليم الخط عندهم قانون ومعلمون له على انفراد ، كما تتعلم سائر الصنائع ، ولا يتداولونها في مكاتب الصبيان ، واذا كتبوا لهم الالواح فبخط قاصر عن الاجادة ، ومن اراد تعلم الخط فعلى قدر ما يسنح له بعد ذلك من المهمة في طلبه ، وبتغيه من اهل صنعته . - (٦٩)

---

(٦٧) ابن خلدون ، ع.ن. ص : ١٠١٢

(٦٨) ع.ن. ص : ١٠١٢

(٦٩) ع.ن. ص : ١٠١٢

بعد ان اعطينا فكرة عامة عن التربية واهدافها وتطوراتها  
عند المسلمين سننتقل الى التحدث عن التربية وشؤونها عند ابن  
خلدون .

## الفصل الرابع

فلسفة ابن خلدون التربوية

## فلسفة ابن خلدون التربوية

لم يتكلم ابن خلدون في مقدمته عن الفلسفة مباشرة وقد اضطر ، في مباحثه التاريخية والاجتماعية الى ايفاح العمران البشري وما يعرض له من احوال ، الى الكلام عن تفسير الرؤيا والنبوة وعلم الكلام والتصوف . وانتقد العقل البشري وبين مميزاته وحدوده . وقابل بين العلم والدين وانتهى الى فلسفة تشبه التي حدد ما فلسفة افغست كوت وسبنر التي تدعى بالفلسفة الوضعية ، لانها فلسفة تطور عقيد العقل بالمشاهدة المحسوسة والحوادث المتشخصة . (٧٠)

والذي يعنينا هنا هو دراسة نواح من فلسفة ابن خلدون من شأنها ان تلقي ضوءا على رأيه في التربية والتعليم .

---

(٧٠) جميل صليبا ، ابن خلدون ، ص : ٦

## نظرة ابن خلدون الى المجتمع

حدد العلماء التربية بانها تفاعل بين الفرد والبيئتين الطبيعية والاجتماعية . نرى ان هذا التحديد يتفق ووجهة نظر ابن خلدون ، ويتبين لنا ذلك في وصفه لتأثير البيئة في حياة الافراد وامكانياتهم العقلية ونشاطهم الجسمي . وفيما يلي بحث عن العوامل التي اعتبرها ابن خلدون مؤثرة في المجتمع والافراد وفي تكوينهما .

### العوامل المؤثرة في المجتمع :

يرى ابن خلدون ان هناك ثلاث ظواهر مستقلة عن المجتمع تؤثر فيه باستنزاف تأثيرا عظيما وهي الاقليم والبيئة الجغرافية والدين . على انه يرى ان للدين ظاهرة اجتماعية ان هو التأثير الالهي فسي المجتمع .

يبين ابن خلدون تأثير درجات الحرارة المختلفة في اجسام البشر واخلاقهم ومن ثم في الحضارة . فسواد اللون في سكان الجنوب يرجع الى شدة الحر حيث الشمس محرقة جدا . اما اهل الاقاليم المعتدلة فاجسامهم اقوى واوفر توازنا ، في حين ان اهل الاقاليم المنخفضة مجردون من الحضارة تقريبا . فهم همج لا يعرفون شريعة ولا حكومة ولا ديناً . واخلاقهم غاية في التناقض وفي نفس الوقت بعيدة جدا عن الوسط السالح الذي يلائم مجتمعا متحضرا . وعلينا التاريخ ان الحضارة

كاملة كانت ام ناقصة ، لم توجد قط الا في البلاد المعتدلة ، وان درجة كمالها تختلف طبقا لنشوءها قريبة او بعيدة من الاقليمين المنحرفين . ولم يكتف ابن خلدون بهذا القدر بل اراد ان يشرح تأثير المناخ من الناحية العلمية ان قال ان باخلاق اهل الجنوب خفة وطيشا وانهم لا يعرفون السكينة ويقفون معظم حياتهم في اللهو والرقص . وان اهالي الاقاليم الباردة يصفون بالنشاط والانقباض والمغالة في التحسب والتخوف للحوادث الطارئة . ثم يصف اهل المناطق المعتدلة باعتدال الاخلاق (٧١) ثم يشرح ابن خلدون تأثير البيئة الجغرافية في جسم الانسان وخلقه فيقول ان البلد الغني يكثر فيه انتاج الارض ويعيش الناس في رخاء وسعة . وليس عليهم ان ينفقوا كثيرا من جهدهم لتحصيل قوتهم ان تزيد مصادره عن حاجاتهم فلذلك يتجهون الى الانغماس في ملذاتهم فيؤدي ذلك الى ضعف في اجسامهم بل وعقولهم ويصبحون عرضة للامراض ويموزهم روح المثابرة على الجهد . (٧٢)

هناك عامل اخر وهو عامل العريقة . فيقول بان الاختلاف في نوع التربة له تأثيره في حياة اهلها ان من ناحية مستوى العيش او من جهة ما يتركه في اخلاقهم وموافق رزقهم . ويحاول تعليل هذه الناحية فيقول : " والسبب في ذلك والله اعلم - ان كثرة الاغذية وكثرة الاخلاط الفاسدة العفنة ورطوبتها ، تولد في الجسم فضلات رديئة ينشأ عنها بعد اقطارها في غير نسبة ، ويتبع ذلك انكساف الالوان وتبجح الاشكال من كثرة اللحم وتغطسي الرطوبات على الازهار والافكار بما يصعد الى الدماغ من ابخرتها الرديئة ، فتجي البلاد والغلة والانحراف عن الاعتدال بالجملة . " (٧٣)

---

(٧١) طه حسين ، فلسفة ابن خلدون الاجتماعية ، ص : ٧١ و ٧٢

(٧٢) مقدمة ص : ٧٥

(٧٣) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ص : ٨٨

اما فيما يتعلق بالدين فابن خلدون يقرر ان ليس هناك من مجتمع لا يتأثر بدين من الاديان ، ويشرح الدين بطريقة طريفة جدا ، ويستند في ذلك الى مادة غزيرة من الفلسفة والدين والاساطير فيدمجها ويستخرج منها مذهباً يمكن تسميته بمذهب "ما وراء الطبيعة" النفسي وبهذا يتشابه وابن رشد نظراً لان كليهما استطاعا ان يوفقا بين الفلسفة والدين . وسنتكلم اكثر تفصيلاً عن الدين وتأثيره في المجتمع في مكان اخر من هذا الفصل .

مبادئ المجتمع : يقرر ابن خلدون في مقدمته ان هناك ثلاثة مبادئ اساسية في المجتمع :-

- أ - ضرورة الاجتماع للبشر ، واستحالة معيشتهم منفردين .
- ب - ضرورة وجود الوازع للبشر ، وامتناع بقائهم بلا وازع يدفع عدوان بعضهم من بعض .
- ج - عدم ضرورة وجود الشرع للبشر ، وامكان دفع العدوان بسطوة الملك ولو لم يكن هنالك شرع .

"ان الاجتماع الانساني ضروري" هكذا قال ابن خلدون . وقد برهن على هذه الضرورة بامرین هامین اولهما ان الانسان مضطر للتعاون مع بني جنسه ، للحصول على الغذاء الذي يحتاج اليه . وثانيهما ان الانسان مضطر الى الاستعانة بابناء جنسه ليدفع تعدى الحيوانات عليه (٧٤) لان قدرة الواحد من البشر لا تقاوم قدرته قدرة الواحد من الحيوانات العجم سيما المفترسة ، فهو عاجز عن مدافعتها وحده بالجملة (٧٥) وقدرة الواحد من البشر لا تكفي لصنع الاسلحة ضد الحيوانات فلا بد في ذلك كله من التعاون مع ابناء جنسه ، وان فقد هذا التعاون لا يستطيع الانسان

---

(٧٤) ساطع الحصرى ، دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، ص : ٢٨٠

(٧٥) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ص : ٤٢



ان يحصل على الغذاء وان يدافع عن نفسه .

ومن هنا يجد ابن خلدون انه اذا جعل الاجتماع بقصد طلب القوت ودفع العدوان يطمع الانسان في الاستتكار من الاقوات والاستزادة من المحافظة على نفسه ، فتنشأ من جراء ذلك الضرورة الاجتماعية في التكاتف والتضامن في سبيل تحقيق حياة افضل وينشأ عن ذلك الاكتشافات والانشاءات في سبيل العمران . (٧٦) ويعطي على ذلك مثلاً : "الا ان قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء ولو فرضنا من اقل ما يمكن فرضه ، وهو قوت يوم من الحنطة مثلاً ، فلا يحصل عليه الا بعلاج كثير من الطحن والعجن والطبخ . وكل واحد من هذه الاعمال الثلاثة يحتاج الى مواعين والات لا يتم الا بصناعات متعددة ويحتاج كل واحد من هذه الى آلات متعددة وصنائع كثيرة ويستحيل ان تفي بذلك كله او بعنفه قدرة واحدة . فلا بد من اجتماع القدر الكثيرة من ابناء جنسه ، ليحصل القوت لهم وله . " (٧٧)

يعتبر ابن خلدون ان المدنية الانسان ظاهرة ضرورية . فالانسان بطبيعته حيوان مدني ، والمدنية تنفق مع الحاجات الطبيعية للعيش وحفظ الحياة . وهو يعتقد مثل ارسطو ان المجتمع قد نظم لصلحة اعضائه . ويعتقد ابن خلدون ان المدنية عاطفة كامنة في الانسان وان الله خلقه كذلك ووهبه من المواطن ما يتفق مع حاجاته . وليس لذلك المجتمع الطبيعي شكل سياسي فلو تم له ذلك فليس بفضل الغريزة وحدها بل بفضل التفاهم والتأمل ايضا . وهذا ما يميز المجتمع البشري من اجتماعات تبدو متشابهة له نلاحظها في بعض الحيوانات . فان هذه الاجتماعات نتيجة للغريزة وحدها في حين ان الاجتماع البشري نتيجة

---

(٧٦) كمال يازجي وانطوان كرم ، اعلام الفلسفة الاسلامية ، ص : ١٦٨

(٧٧) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ص : ٤٢

للتقاهم وللغريزة معا . ويشعر البشر في مجتمعهم بالحاجة الى سلطة عليا تحول دون اعتداء بعضهم على بعض وهذا هو اساس الحكومة . ويرى ابن خلدون ان الظواهر الاجتماعية لا تختلف عن الظواهر الفردية وان من الممكن دائما ان يتكرر اليها . اما الشطر الذي يرجع الى الفكر البشري في الاجتماع فابن خلدون لا يحدده . (٧٨)

يعتقد ابن خلدون انه اذا ما تم الاجتماع والعمران للبشر فلا بد لهم من وازع يدفع بعضهم عن بعض ويقرر ذلك بقوله : "ثم ان هذا الاجتماع ، اذا حصل للبشر فلا بد من وازع يدفع بعضهم عن بعض لما في طباعهم الحيوانية من العدوان والظلم" . فكما ان الاسلحة ضرورية للدفاع بها عن النفس من الحيوانات ، كذلك يجب ان يكون هناك شيء اخر يدفع عدوان البشر بعضهم عن بعض . ولا يمكن لهذا الوازع ان يكون من غير البشر ويجب ان يكون له عليهم الغلبة والسلطان واليد القاهرة حتى لا يصل احد الى غيره بعدوان ، وهذا هو معنى الملك . ويشير ابن خلدون الى هذا الوازع في عدة اماكن من مقدمته فيقول مثلا في احد الفصول : "ان البشر لا يمكن حياتهم ووجودهم الا باجتماعهم وتعاونهم على تحصيل قوتهم وضرورياتهم" . واذا اجتمعوا ، دعت الضرورة الى المعاملة واقتضاء الحاجات ، ومدد كل واحد منهم يده الى حاجته ياخذها من صاحبه ، لما في الطباع الحيوانية من الظلم والعدوان ، بعضهم على بعض ، ويمنعه الاخر عنها بمقتضى الغضب والانفة ومقتضى القوة البشرية في ذلك ، فيقع التنازع المقتضي الى المقاتلة ، وهي تؤدي الى المرح وسفك الدماء ، وانهاب النفوس المقتضي ذلك الى انقطاع النوع . . . ولذلك استحال بقاؤهم فوضى ، دون وازع يزرع بعضهم عن بعض ، واحتاجوا من اجل ذلك الى الوازع ، وهو

الحاكم عليهم وهو يقتضى الطبيعة البشرية الملك القاهر المتحكم . (٧١)

يقول ابن خلدون يتم اجتماع البشر لانهم يحتاجون الى بعضهم البعض . فحالة الحرب التي هي من خواص الانسان هي خاصة السلامة والامة ، على ان المجتمع اذا ما تأسس عادت مصالح الافراد واثارت كوامن العدوان بين اعضائه . ومن اجل هذا يحتاج الى الشرائع والسى حكومة قادرة تقمع تلك الميول العنيفة . واما بحالة عدم وجود شرع في المجتمع فهذا لا يعني انه لا ينمو وينهض فكثيرا ما وجدت مجتمعات بدون ذلك وهي في غاية التقدم والرقى .

طبيعة الفرد : الان وبعد ان شرحنا العوامل المؤثرة في الفرد والمجتمع من حيث البيئة الاجتماعية والطبيعة وبعد ان راينا غاغل الفرد في هاتين البيئتين يتوجب علينا كي نفهم ماهية هذا التفاعل ومدى تأثيره ان نلسم بطبيعة الفرد الانساني ومراحل نشوئه وتطوره وان نقابل بينه وبين الحيوان لظهار المميزات الفارقة بينهما .

فالانسان هو حيوان اجتماعي وهو يشترك بصفات الحيوانية جمعا مع الحيوان الا انه يمتاز عنه بالفكر الذى يساعده في حياته وكسب رزقه ، وفي تعاونه مع ابنا جنسه ، وفي معيشته الجماعية التي تهى لذلك التعاون ، وفي دعم حياته بمبادئ الخير التي ياتى بها الانبياء والمرسلون . واهم مظهر من مظاهر نشاط الفكر البشرى هو السعى وراء المعرفة لذلك نرى الانسان جادا في البحث عما حصله غيره من معلومات وحقائق وما اعتنقه من حروف وصناعات وهو يحاول بذلك ان يطلع على تراث نشاط الفكر الانساني (٨٠) . . . فيكون الفكر راغبا في تحصيل ما ليس عنده من الادراكات ،

---

(٧١) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ص : ٤٣

(٨٠) فتحية حسن سليمان ، بحث في المذهب التربوى عند ابن خلدون ، ص : ٢٤

فيرجع الى من سبقه بعلم او زاد عليه بمعرفة او ادراك ، واخذه ممن تقدمه من الانبياء الذين يبلغونه لمن تلقاه ، فيلقن ذلك عنهم ويحرص على اخذه وعلمه . (٨١)

ينشأ الانسان الفرد على ثلاثة مراحل كما يذكر ابن خلدون عندما يقابل بينه وبين المجتمع . فالمرحلة الاولى هي مرحلة الطفولة ويكون الانسان فيها بسيطا ساذجا ، والمرحلة الثانية هي مرحلة الشباب التي تتأاز بالطموح والجد والعمل والنشاط ، والمرحلة الثالثة وهي مرحلة الشيخوخة وفيها يتم للانسان الاستقرار وبداية بالضعف والمزال الى ان تبلغه الغنية فيموت . فالانسان يتطور ويتغير في نشأته حسب ما يتكيف في المجتمع ولكل فترة من فترات حياته صفاتها الخاصة وموماتها . والانسان والمجتمع مرتبطان بعضهما ببعض اذ ان المجتمع لدى ابن خلدون هو مجموعة من الافراد ، وفكر المجتمع هو مجموعة افكار افرادة . والانسان باطواره وكيفية نشوئه يتشابه والمجتمع كثيرا . ولذلك جب علينا ان ننظم ماهية المجتمع ومراحل تطوره ورتبه وعلاقة الفردية .

المجتمع كائن حي : نظر ابن خلدون الى المجتمع نظرة تختلف عما سبقه من فلاسفة الاجتماع ، ذلك انهم اعتقدوا بان المجتمع كالتصميم ، فان كان هذا التصميم مبنيا على اساس متينة فالمجتمع يظل محافظا على كيانه وروعه مهما تقلبت الايام واختلف السكان . لكن ابن خلدون شبهه بانه كائن حي اذ انه ينشأ على درجات متفاوتة في النفج والازدهار . ثم ياخذ في الاضمحلال الى ان يعمره الانحلال . ويتعرض في هذه الفترة الى تقلبات ومومات تقدر الكثير من شوؤنه ونواحيه . ثم يقول ان هذا النمو والتطور ليس بمجرد امر عارض بل انه احدى قوانين الطبيعة يخضع

له البشر كما يخضع له المجتمع • فيتبين من ذلك ان التطور في المجتمع عند ابن خلدون امر محتتم (٨٢).

فالمجتمع المتحضر لا بد له من ان يمر خلال ثلاثة اطوار متتابعة اثناء تحضره • الطور الاول هو طور البداوة وفيه تتحكم عادات المجتمع وحاجاته وليس القانون • والطور الثاني الذي يمر به المجتمع هو الغزوات والحروب وفيه تتكون تدريجيا القوانين والانظمة التي تتحكم فيه • وبعد ان يستقر المجتمع و يبلغ اوجهه ، وينكب افراده على الدراسة والاستطلاع والتوسع في العلم والفنون تنتشر فيه روح الترف والبحث عن وسائل الاستمتاع بالحياة فيبدأ بالضعف والاضمحلال وهذا هو الطور الثالث (٨٣) وهذا يرينا ان المجتمع باطواره يشبه اطوار الانسان الثلاثة فطور الطفولة يشبه طور البداوة في البساطة والبساطة والسيطرة وطور الشباب يشبه طور الغزوات والحروب من حيث الاستعداد والنشاط والتأهب ، وطور الشيخوخة يشبه طور الاستقرار والاضمحلال في المجتمع • لكن هناك فارق بين المجتمع والانسان وهو ان مرحلة الشيخوخة عند الفرد تنتهي بالموت (٨٤).

ان هذه النتيجة ليست صحيحة فيما يتعلق بالمجتمع • فان ابن خلدون لا يعني بمرور المجتمع بهذه الاطوار الثلاثة انه يقف عند هذا الحد او انه ينتهي وتنتهي معه الحياة والنشاط ، بل انه يبدأ من جديد في النمو والتطور مع بقايا راسب من حضارته الاولى و رقيه تساعده في النمو والارتقاء من جديد • فالمجتمعات تملو وتخضع وتتقدم وتتأخر • ولكي نحصر على اطوار المجتمع ونموه يجب ان نراعي قوانين تقدمه ونأخذ بالعوامل المؤدية الى ذلك • ومن اهمها التعليم • وسنأتي على بحث التعليم وشروطه فيما بعد بالتفصيل ، وسنتناول الان دور الدين

(٨٢) كمال يازجي وانطوان كرم ، اعلام الفلسفة العربية ، ص : ١٦٦ ، ١٦٧

(٨٣) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ص : ١٢٥

(٨٤) فتحية حسن سليمان ، بحث في مذهب ابن خلدون التربوي ، ص : ٢٣

في الدولة ودوره كمرس في المجتمع .

### الدولة والدين :

يتكلم ابن خلدون كثيرا عن الدولة والعصبة ودور الدين وتأثيره فيهما في فصول عديدة من المقدمة . ففي الفصل المعنون " في ان الدول العامة الاستيلاء العظيمة الملك اصلها الدين اما من بندوة او دعوة حق " ، يبين ابن خلدون ان الملك انما يحصل بالتغلب ، والتغلب يتم بالعصبة واغراق الاهواء المختلفة . وللدين اثر كبير في جمع القلوب وفي التآلف وذلك يتم بعون الله . وان القلوب اذا انصرفت الى شهواتها واهوائها ومسرراتها حصل التنافس ونشأ الفساد والخلاف . وانها اذا اتجهت نحو الحق وابتعدت عن الباطل ، تتوجه وجهتها نحو الله ، فيذهب التنافس ويقل الخلاف وينشأ التعاون والتعاقد وبذلك يتسع نطاق الكلمة فتعظم الدولة ويتحسن حالها . (٨٥) وفي فصل اخر وهو " في ان الدعوة الدينية تريد الدولة في اصلها قوة على قوة العصبة التي كانت لها من مددها " ، فيقول بان الصبغة الدينية تبعد التنافس والتحاسد في اهل العصبة وتوجههم نحو الحق . واذا تعرض لهم احد ، فلا يمكن ان يقف شيء بوجههم ذلك لان وجهتهم واحدة ومطلوبهم واحد . في حين ان اولئك الطامعين في الدولة ، وان كانوا اكثر منهم عددا فسيواجهون الخذلان والانحدار ، ذلك لتباين نواياهم واغراضهم بالاضافة الى عدم ايمانهم الذي ينتج عنه الخلاف وملاقاة الموت . ويعطي ابن خلدون مثالا على ذلك في واقعة اليرموك والقاسية عندما كان الفرس اضعاف المسلمين عددا ومنع ذلك فقد غلبهم العرب لان الاجتماع الديني ضاعف قوة عصبيتهم بالاستبصار والاستقامة . (٨٦)

---

(٨٥) ابن خلدون ، تاريخ العلاء ابن خلدون ، ص : ٢٨١

(٨٦) ع.ن . ص : ٢٨٢

هكذا يبين اثر الدين في جمع الصفوف ولم يكتف بهذا القدر بل حاول ان يوضح ذلك اكثر في الفصل المعنون : "في ان الدعوة الدينية من غير العصبية لا تتم" فبين ابن خلدون انه لا بد لكل امر تحصل عليه الكافة من العصبية . وقد مثل على ذلك ما جاء في الحديث الشريف : ما بعث الله نبيا الا في منعة من قومه . ويقول اذا كان يفترض هذا في الانبياء فغيرهم من الناس يغلب على امرهم بسهولة بخير عصبية . ويعطي ابن خلدون على ذلك مثلا عن ابن قسي شيخ الصوفية ، الذي ثار في الاندلس داعيا الى الحق وسمي اصحابه بالمرايطين . فاستتب له الامر قليلا لانه لم يكن له عصاب ولا قبائل تدفعه عن غرضه هذا . ولكن عندما استولى الموحدون على المغرب خضع لهم ودخل بدعوتهم بسهولة . وكان اول داعية لهم بالاندلس وسميت ثورته بشويرة المرايطين . ومن هنا يتبين احوال الثوار القائمين بتغيير المنكر من العامة والفقهاء ، فان كثيرا من منتحلي العبادة ومتبعي الدين يحملون على اولئك الامراء الظالمين الى تغيير المنكر والنهي عنه ، يكثر اتباعهم ويعرضون انفسهم في سبيل ذلك للممالك مأزورين غير مأجورين لان الله لم يكتب ذلك عليهم وانما امر به حيث تكون القدرة عليه . ثم يقول ابن خلدون بان احوال الملوك والدول قوية وقائمة على اساس راسخة لا تزحزح الا اذا كان من ورائها تلك القوة والمطالبة الناتجة من عصبية القبائل والعشائر ولذلك اعتمد الانبياء في دعوتهم على العشائر والعصاب . (٨٧)

ويعطي ابن خلدون امثالا كثيرة عن الثورات والفساد وغشيهما في الدول ، ثم يبين اثر الدعوة الدينية وما يامر به الدين في الشعوب وفي تصرفاتهم واخلاصهم . يقول انه عندما بويج ابراهيم بن المهدي

حدث هرج ببغداد واستغز اهل الفسق باهل الصون والعفة ، وابتداءً  
النهب والسبي علنا في الاسواق . لكن اهل الدين والصلاح تيقظوا  
لهذه الحالة وقاموا يمنعون هذا الفسق والفساد . وقام ببغداد رجل  
يعرف بخالد الديوس ، الذي دعا الناس الى الخير والابتعاد عن الاعمال  
المنكرة ، فاجابه الخلق وقاتل اهل الفساد فغلبهم ونكل بهم . لكنه  
قتل في النهاية وقام بعده كثيرون ينتحون هذه الناحية ولكنهم فشلوا  
جميعهم لانهم يحتاجون الى اقامة الحق الى العصبية . وهذا يدلنا  
على ان ابن خلدون اعتبر الدين والدعوة اليه من العوامل الفعالة في  
تحسين اخلاق البشر وعاداتهم . كما نلاحظ انه يريد ان يبين بوضوح  
ان كل دعوة يجب ان تقوم على العصبية لتكون فعالة ناجحة . (٨٨)

يتبين لنا مما سبق ان ابن خلدون يلاحظ بعض العلائق الهامة  
بين قوة العصبية ، وبين امور الديانة والدعوة الدينية ايضا ، فانه يذهب  
الى ان الدعوة الدينية من غير عصبية لا تتم " لان هذه الدعوة تتضمن  
حمل الناس على السير وفق ما تقتضيه الامور الدينية ، لذلك لا تخرج عن  
نطاق الامور التي تحتاج الى عصبية : " ان الشرائع والديانات ، وكل امر  
يحمل عليه الجمهور ، فلا بد فيه من العصبية . ان المطالبة لا تتم الا  
بها ... فالعصبية ضرورية للمدة . (١١)

بينما يقرر ابن خلدون من جهة ، ضرورة العصبية للدعوة  
الدينية ، يلاحظ نوعا من المشابهة بين تأثير الدين وبين تأثير العصبية  
في الحياة الاجتماعية . " لان الديانة تولد القلوب ، وتوجهها الى وجهة  
واحدة ، وتذهب بالتنافس والتحاسد ، وتؤدي الى اغراق الاهواء ، وتحمل

---

(٨٨) ابن خلدون ، تاريخ العلامة ابن خلدون ، ص : ٢٨٦

(٨٩) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ص : ٢٠٢



على التعاون والتعاقد . (١٠) فالعصية كما قال ابن خلدون تحمل  
الناس على التعاون والتعاقد ، فيكون عمل الدين في هذا الصدد يشبه  
عمل العصية . ولهذا فانه يقول : " ان الدعوة الدينية ، تريد الدولة  
في اصلها قوة على قوة العصية التي كانت بها من عددها . (١١)

مما يجدر ملاحظته ايضا ان ابن خلدون يتوسع بوجه خاص  
في شرح اثر الدين في القبائل العربية : ان هذه القبائل العربية  
" اصعب الامم انقيادا بعضهم لبعض ، للغلبة والانفة ، وبعد الهمة ،  
والمنافسة في الرياسة ، قلما تجتمع اهواؤهم ، فاذا كان الدين بالنبوة  
او الولاية ، كان الدواع لهم من انفسهم ، وذهب خلق الكبر والمنافسة  
منهم ، وسهل انقيادهم واجتماعهم ، وذلك بما يشملهم من الدين المذهب  
للفلظة والانفة ، الدواع عن التحاسد والتنافس . (١٢)

ومن الطبيعي انه اذا تالفت كلمتهم لظهور الحق تم اجتماعهم  
وحصل التغلب والملك .

يتبين لنا مما ورد ، ان نظرية ابن خلدون في "علاقة العصية  
بالدولة " ونظريته في "علاقة العصية بالدين " يتسم بعضهما بعضا ،  
وتتسجمان تمام الانسجام ، في نطاق انظرية واسعة الخطوط :

• ان الملك والدولة العامة ، انما يحصلان بالقبيل والعصية .

• ان الدعوة الدينية ايضا لا تتم من غير العصية .

الا ان هذه الدعوة ، اذا ما تمت بمساعدة القوة العصبية ،

ضاعفت تلك القوة ، وجعلتها اقوى بكثير مما كانت عليه قبلا . (١٣)

---

(١٠) ابن خلدون ، ج ١ ص ١٥٧

(١١) ساطع الحصري ، دراسات من مقدمة ابن خلدون ، ص ٣٤٧

(١٢) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ص ١٥١

(١٣) ساطع الحصري ، دراسات من مقدمة ابن خلدون ، ص ٣٤٩

## الدين والنبوة :

قبل ان نكلم عن دور الدين كمرسئ سنحدث عن رأى ابن خلدون في النبوة ورجال الدين وادوارهم في المجتمع اذ انه يعطى لذلك شيئاً من الاهمية في مقدمته . وما ذكره عن هذه المواضع يقدم لنا فكرة عن كيفية معالجته الامور الدينية من جميع نواحيها .

لا يعتقد ابن خلدون بان النبوة ضرورة لتاسيس الحكومة وبذلك يمتاز من معظم الفلاسفة والمتكلمين المسلمين لان هؤلاء يؤكدون انه لا يتأتى قيام دولة دون ارشاد الله . فقد رأى ان هناك امماً كثيرة تعيش بغير دين منزل وان لهذه الامم سلطاناً واسماً وقوانين وانظمة وجيوشاً قوية ومدناً عامرة أهلة . وان هذه الامم تعد كثيرة بالنسبة للامم التي انتشرت فيها الاديان المنزلة فاستتج من ذلك ان النبوة ليست ضرورة لتاسيس الممالك والدول . لكنه عاد فقال ان النبوة وان لم تكن ضرورة لتاسيس الممالك العادية الا انها ضرورة لتاسيس الممالك الواقية الكاملة لان المملكة التي تقوم على اساس النبوة تجمع بين منافع الدنيا ومنافع الدين . (٩٤)

يرى ابن خلدون ان الاتصال بين العالم الحسبي وغير الحسبي اساس لكل دين ، والى هذا الاتصال يرجع الفضل في معرفة الانسان اما لارادة الله وما يفرضه عليه من الواجبات واما لاسرار الماضي والمستقبل وبالجملـة بما يتكون منه الدين . ويجد تفسير هذه العلاقات بين العالمين في الروح البشرية . فهذه الروح هي الواسطة بين الله والانسان وهي بطبيعتها خالدة لا تغنى وبها قدرة خفية تمكنها من ان تنفذ الى عالم

الافكار وان تتخاطب مع الله ذاته . على ان قوة تلك الارواح ليست بنسبة واحدة بل ان معظمها يصل بهذا العالم الحسي ويكاد يفقد قدرته الخفية . ومنها ما لا يحتفظ بهذه القدرة الا بقدر قليل جدا ، ومنها ما يحتفظ بها كلها وتلك هي ارواح البشر الممتازين الذين اختارهم الله وهم الانبياء . وبفضل هذه القدرة تهجر ارواح الانبياء العالم الحسي احيانا لتتلقى من الله الوحي والاوامر التي يجب ان تبلغها الى البشر . ويمكن ان نستخلص هنا ان ابن خلدون يرى ان الاديان الحقيقية هي التي تنشأ من ذلك الوحي فقط . (١٥)

ومع ان هناك اديانا مزيفة ولكنها مع ذلك تحتوى لمحة من الحقيقة . والواقع ان الارواح التي لا تحتفظ بكامل القدرة على اتخاذ الصفة الملكية - كما يسميها ابن خلدون - يمكنها مع ذلك ان تنفذ الى العالم الروحي باستخدام وسائل مختلفة تمكنها من الانسلاخ عن العالم المادي . فمثلا يمكن الانسان ان يحصر عنايته مدة طويلة في امر تافه جدا ، فينتهي بان ينسى كل ما يحيط به ويمكنه ان يرى - بسرعة فائقة - شكل ناقص جدا - شيئا من العالم الملكي . وهذه هي الاديان الوثنية . ثم يقول ابن خلدون ان علم الكهان لا تصح ان تكون اساسا لحقيقة مطلقة او بالحرى لدين ما ، وواجب ان يمثل الدين حقيقة مطلقة .

ويذهب ابن خلدون بعيدا فيقرر مع الصوفية ان الانسان بانفصاله من الحياة المادية جهد استطاعته كل ما تدركه الحواس ، يستطيع مع الاحتفاظ بحسن ايمانه ومع عدم الطموح الى تأسيس دين جديد - ان يذوق لذة الحياة الملكية وان يشعر باقتربه من الجوهر الالهي : وهندئذ يتسنى له ان يدرك الحقائق التي يصل اليها العلماء بالطرق

العادية ولكنها تكون اشد وضوحا . على انه اذا باشر الانسان تلك الرياضة رغبة في ان يتفوق فان الطريق تغلق دونه ، واذا استطاع ان يتصل بالعالم الاخر فلا يكون ذلك الاتصال بالله بل يكون بالشياطين . وليس هذا كل ما في الامر لان الروح البشرية تستطيع ايضا ان تدرك بعض اسرار المستقبل بواسطة الرؤيا . ولكن يجب لصحة هذه المعلومات ان تكون الروح كاملة الاستقامة والورع والطهارة والا كانت الرؤيا وحيدا من الشياطين او صورا متكررة من الحياة اليومية . (١٦)

لقد وضع ابن خلدون الانبياء في طليعة البشر ، ويليهم الاولياء وبعبارة اخرى الصوفية والكهان . وتنقسم كل جماعة من هؤلاء الى عدة مراتب . فهناك مثلا انبياء ليسوا بالرسول وامتيازاتهم عبارة عن ادراك عالم الغيب ولكن بطريقة اقل كمالا من طريقة الرسول . ويختلف هؤلاء عن بعضهم البعض ، فالرسول يمتاز بالمعجزة ولا بد لوسائله من برهان قاطع ليقدرها الناس كافة ، والمعجزة هي ذلك البرهان . ومعجزة الرسول تتميز بان الرسول يعلن عن المعجزة التي ستحدث ويطلب كل فكر لصدقه ان ياتي بمثلهما وهذا ما يسميه المتكلمون " بالتحدى " . ويعتقد ابن خلدون ان كل تنبؤ لا يستند من قوة الروح المعنوية لا قيمة له في نظره ، لا من الوجهة العلمية ولا من الوجهة الدينية . ولا يمكن على هذا ان يكون للدين قاعدة اخرى سوى اعمال بعض رجال متازين ان كثيرا او قليلا بالعالم الروحي . " وفي هذا المذهب نجد نظرية افلاطون في " المثل " ان للاعمال بالعالم الروحي وقراءة الماضي والمستقبل يجب ان يكون لكل شيء وجود خالد ، ليس عالم الحس الا صورة ناقضة له . ونجد ايضا نظرية الاشراق لمدرسة الاسكندرية التي استخلصت فلسفتها من مذاهب مختلفة ، ان يمكن للروح بالتأمل والرجوع الى النفس ان تشاهد

النور العام عن قريب ، ويدخل فيه التصوف الاسلامي الذي متى حررناه من لونه السياسي لم نجد له الا فكرة الاشراق الاسكندرية وفق بينها وبين الاسلام وكذلك التوحيد الاسلامي بدقته وجدله العميق حول ايسر الالفاظ والاراء (١٢)

### الدين كمربي :-

ذكرنا سابقا ان ابن خلدون لا يعتقد بان النبوة ضرورة لتاسيس الحكومة او الممالك العادية الا انها ضرورة لتاسيس الممالك الراقية الكاملة لان المملكة التي تقوم على اساس النبوة تجمع بين منافع الدنيا ومنافع الدين .

الى جانب هذا وذاك فان ابن خلدون كما يتبين لنا من حديثه عن الدين وعلاقته بالدولة والمجتمع ، يعتقد بان الدين ضروري في المجتمع من حيث هو مذهب للاخلاق وللنفوس البشرية كما انه يساعد على التضامن وعلى بحث روح التعاون في النفوس . ففي الفصل المعنون : " في ان العرب لا يحصل لهم الملك الا بصيغة دينية من نبوة او ولاية او اثر عظيم من الدين على الجملة " يقول ابن خلدون ان السبب في ذلك يعود لصعوبة انقيادهم ولما عندهم من انفة وبعد الهمة والمنافسة في الرئاسة فلاختلاف اهوائهم لا يثقون . ثم يقول " فاذا كان الدين بالنبوة او الولاية كان الدواعي لهم من انفسهم وذهب خلق الكبر والمنافسة منهم فسهل انقيادهم واجتماعهم ، وذلك بما يشملهم من الدين المذهب للغلظة والانفة الدواعي عن التحاسد والتنافس ، فاذا كان فيهم النبي او الولي الذي يبعثهم على القيام بامر الله ، وذهب عنهم مزومات الاخلاق وياخذهم بجمودها ، ويؤلف كلمتهم لظهار الحق ثم اجتماعهم وحصل لهم التغلب والملك ، وهم مع ذلك

اسرع الناس قبولا للحق والهدى لسلامة طباعهم من عروج الملكات وبراءتها من ذميم الاخلاق ، الا ما كان من خلق التوحش القريب المغاناة المتهم لقبول الخير ببقائه على الفطرة الاولى ، وبعدها ينطبع في النفوس من قبيل العوائد وسوء الملكات ، فان كل مولود يولد على الفطرة كما ورد في الحديث .<sup>(١٨)</sup> يتبين من هذا اثر الدين في صقل الاخلاق ، كما وان الدين يذهب العادات القبيحة كالغلظة والحسد والتنافس وان رجال الدين لهم اليد الكبرى في ارشاد الناس الى اتباع الطرق المستقيمة واختيار الحياة الشريفة البعيدة عن مومومات الاخلاق والامور الفاسدة . واذا ما هذب الدين النفوس وبراءها من تلك الامور والعادات السيئة اصبح التآلف والتضامن والتعاون الذي قد ينتج من فضالية الدين هو العامل الاكبر في جمع الامة وترباطها وفي تأسيس دولة او ملك على اسس متينة صحيحة . وما يوهده ذلك ما جاء في الفصل "في ان العرب ابعد الاسم عن سياسة الملك " الذي يقول بما ان العرب اكثر بداءة من سائر الامم لان شظف العيش وخشونته اغنتهم عن حاجات كثيرة وعن غيرهم من الناس ، ويقول ان من طبيعتهم ان يستهينوا في سبيل غرضهم بكل شئ خاصة الاموال ، وتهمهم المنفعة وتحصيل الفوائد فلا يكون هذا وازمما ، بل قد يكون باعثا على الفساد وتخريب العمران . فلذلك لا تستقيم الامة وتخرب سريعا وتعم الفوضى .

وقد تتحسن سياستهم في الملك وتتبدل " بعد انقلاب طباعهم ، وتبدلها بصيغة دينية تحو ذلك منهم وتجعل الوازع لهم من انفسهم ، وتحملهم على دفاع الناس بعضهم على بعض ، واعتبر ذلك بدولتهم في المدة لما شيد لهم الدين امر السياسة بالشرعية واحكامها المراعية لمصالح العمران ظاهرا وباطنا ، وتتابع فيها الخلفاء ، عظم حينئذ ملكهم وقوى

---

(١٨) ابن خلدون ، تاريخ العلامة ابن خلدون ، ص : ٢٦١ ، ٢٧٠

## سلطانهم . (١١)

مما يجدر ملاحظته ان ابن خلدون يظهر احترامه وتقديره لرجال الدين ، فلبالإضافة الى انشاء اشار انهم يسمعون الى اهداء الناس الى سبيل الخير فهو يعززهم ويجلهم وينعتهم بالصفات والخلال الحميدة لان مهماتهم شريفة ، ان ان التهذيب والارشاد هما من اهم العوامل التربوية في المجتمع . ففي الفصل المعنون " في ان القائمين في امور الدين من القضاء والتدريس والامامة والخطابة والاذان ونحو ذلك لا تعظم ثروتهم في الغالب " ، يرى ابن خلدون ان الكسب قيمة الاعمال وانها متوافقة بحسب الحاجة اليها ، فاذا كانت الاعمال ضرورية في العمران كانت الحاجة اليها اشدد . وبما ان اصحاب الصنائع الدينية لا يفتقر اليهم عامة الشعب وبما ان صاحب الدولة يهتم باقامة مراسمهم فيقسم لهم حظا من الرزق على نسبة الحاجة اليهم وهذا قليل بالنسبة لغيرهم . " وهم ايضا لشرف بفائدهم اعزة على الخلق وعند نفوسهم ، فلا يخضعون لاهل الجاه حتى ينالوا منه حظا يستدرون به الرزق ، بل ولا تغرب اوقاتهم لذلك لما هم فيه من الشغل بهذه الصنائع الشريفة والمشتتة على اعمال الفكر والبدن ، بل ولا يسعهم ابتذال انفسهم لاهل الدنيا لشرف صنائعهم ، فهم بمعزل عن ذلك ، فلذلك لا تعظم ثروتهم في الغالب . (١٠٠)

يعتبر ابن خلدون ان العصبية خاصة جوهرية القبيلة البدوية وانها في الوقت نفسه قاعدة نظامها وصفة تقدمها . غير ان هنالك شرط اخر مهم وبدونه تصبح العصبية كما يقول ابن خلدون " كشخص مقطوع الاعضاء " . وهذه الصفة التي ارادها ابن خلدون هي الفضيلة والخلال الحميدة الضرورية الى نيل الملك . وهو يعتقد ان هذه الصفة انما هي

(١١) ابن خلدون ، ج ١ ص ٢٧٣

(١٠٠) ابن خلدون ، ج ١ ص ٢١٠

ضرورية ايضا للانفراد والجماعات ان انها شرط يكفل ويضمن بقا  
القبيلة وتقدمها . ويقول طه حسين ان هذه الفضيلة التي يقول  
بانها شرط من شروط الملك ، ليست الا عبارة عن الصفات التي ذكرتها  
كتب الاخلاق . فمن اراد الملك يجب ان يكون عادلا جوادا يجل  
العلماء ورجال الدين .

ولم يقتنع بان يقرر بواسطة التجربة ضرورة اعراف الملك او  
الرئيس بالفضيلة بل يعتمد ايضا في ذلك على براهين عقلية مستمدة من  
القرآن او من النظر الفلسفي فيقول ان الملك هو الخاصة المميزة للمجتمعات  
البشرية ، وانها تنشأ بما يميز الرجل من الحيوان ، وان ما يميز الرجل  
هو روحه الذي تدفعه طبيعته نحو الخير . وعلى هذا فيجب على الملك ان  
يكون الصورة المثالية المخلصة التي تتحلى بالصفات الروحية الفاضلة للانسان .  
وبما ان الملك هو خليفة الله على الارض فتحليه بالخلائق الفاضلة واجبة  
ايضا لتادية تلك المهمة . (١٠١)

الى جانب هذا فان ابن خلدون يرى ان الحكومة الدينية هي  
خير حكومة ان الغاية الطبيعية لحكومة ما هي المصلحة العامة او منفعة  
المجتمع . ولذلك يجب معرفة هذه المصلحة حتى يمكن السهر على حفظها  
بطريقة جديدة ، وليس على الانسان ان يعرف ماهيتها معرفة جيدة الا  
فيما يتعلق منها بهذه الحياة الدنيوية . ولكن الحياة الدنيوية يجب ان  
تتخذ وسيلة للوصول الى الحياة الاخرى وهذا لا يستطيعه سوى الله  
والانبياء . ولذلك كانت القوانين التي تصدر من عند الله هي خير ما  
يضمن سعادة الانسان في الدنيا والاخرة . ولكن كيف قامت الحكومة  
في نفسها من حيث انها ظاهرة اجتماعية مع غنى النظر عن الاشكال المختلفة



التي قد تتخذها فيما بعد ؟

• هذا السؤال يختلف عليه المتكلمون .

يرى ابن خلدون ان الحكومة نتيجة طبيعية لحادث الاجتماع ،  
وسؤيد شرحه بحاجات الانسان الاقتصادية وحاجته للدفاع والحماية ،  
وانها تكون عملا فريزيا اذا تجرد الانسان من العقل الذي يتدخل في  
كل الامور ، ولكن العقل والدين لا يخلقان الحكومة بل يصلحانها ويغيرانها  
ويجعلانها سالحة لفمان خير المجتمع .

واذا لم تكن الحكومة من صنع الدين فهذا لا يعني انها ليست  
من صنع الله ذلك لان الانسان هو من صنع الخالق ، ويجب ان تتجه كل  
غرائز الانسان وكل افكاره واعماله نحو خالقه . (١٠٢)

## نظرة ابن خلدون الى الغيبيات

تحدثت سابقا عن تطور المجتمع بنظر ابن خلدون وقلت ان التعليم هو عامل من عوامل تقدم المجتمع ونموه ، الا اننا لكي نفهم فلسفته التربوية حق الفهم علينا ان نلم باهداف التربية عنده ذلك ان هذه الاهداف مستوحاة من طبيعة الفرد والمجتمع ونظرت في الغيبيات والمعرفة والقيم . وسنأتي على هذه النظريات فيما يلي :

### الاطلاع على ما وراء الحس :-

يذهب ابن خلدون الى ان في النفس الانسانية استعدادا للانفصال من البشرية المكنية . فيقسم النفوس البشرية الى ثلاثة اصناف : الصنف الاول هو الصنف العاجز عن الوصول الى الادراك الروحاني لاتصاله بالمدارك الحسية ، وهذا هو الادراك البشري الذي يتوقف عنده العلماء . والصنف الثاني صنف متوجه بتلك الحركة الفكرية نحو العقل الروحاني ، فيتجاوز حدود الاوليات العقلية ويتعمق في الاشياء الباطنية وهي امور وجدانية لا نطاق لها . وهذه هي مدارك الاولياء وهي الحاصلة بعد الموت لاهل السعادة . والصنف الثالث هو صنف متطور على الانسلاخ من البشرية الى طور الملائكة من الافق الاعلى ليصير لمحة من لمحات الزمان ملكا بالفعل . وهؤلاء هم الانبياء . وهذا الاستعداد الخالص بالانبياء يوجد معه عوائق وموانع كثيرة تمنع من حصوله . ومن اعظم تلك الموانع الحواس الظاهرة . وقد ذكر ابن خلدون ذلك في تحليل الروميا وحصولها بارضاع حجاب الحس . ولعل ارضاع حجاب الحس في النوم بنظرية "ديكارت" الفيزيولوجية السمماة ( Theorie des esprits animaux . )

والروح الحيواني هذا ، عند ابن خلدون ، نجار لطيف ينقل اثار الجسد الكثيف الى النفس ، وعندما يعرض النسم للحواس الظاهرة ينصرف الروح الحيواني عنها الى الحس الباطن فتخف عن النفس شواغل الحس وترجع اليها صورها المنتزعة من المدركات المألوفة . فابن خلدون يسعى اذا لتعليل الرويا تعليلا وضعيا وهو في نظرية النبوة واستعداد النفس لبلوغ هذا التطور . (١٠٣)

### الكون :- التطور التدريجي في الطبيعة والمجتمعات .

جعل ابن خلدون العالم المحسوس الجشائي اول المراتب لانه عالم العناصر المشاهدة . ثم تدرج بها صاعدا من الارض الى الماء ثم الى الهواء ثم الى النار . وقال ان كل واحد منها مستعد الى ان يستحيل الى ما يليه صاعدا او هابطا حتى ينتهي الى عالم الافلاك . ثم نظر الى عالم التكوين وبيّن كيف ابتداء الترتيب من المعادن الى النباتات ثم الى الحيوان . وهنا جعل اخر افق المعادن متصلا باول افق النبات واخر افق النبات متصلا باول افق الحيوان . وقد اتسع عالم الحيوان وتعددت صورته حتى انتهت الى الانسان وهو صاحب النفس المدركة . فهو لا يعتقد ان التطور يتعلق ببعض صور الكون بل ان التطور يشمل جميع صور الوجود حتى انه طبقها على الحياة الاجتماعية وال عمران ، وان هذا التطور يحدث تدريجيا من حالة الى حالة . (١٠٤)

وهذا ما جاء في مقدمته بكل وضوح : " وقد تقدم لنا الكلام في الوحي في اول فصل المدركين للغيب ، وبيننا هنالك : ان الوجود كله ، في عوالمه البسيطة والمركبة ، على ترتيب طبيعي ، من اعلاها واسفلها متصلة كلهما

---

(١٠٣) جميل صليبا ، ابن خلدون ، ص : ١٤ ، ١٥

(١٠٤) ع.ن . ص : ١٦ ، ١٧

اتصالا لا يَحْزَم . وان الذوات التي في اخر كل افق من العوالم مستعدة لان تنقلب الى الذات التي تجاورها ، من الاسفل والاعلى ، استعدادا طبيعيا ، كما في العناصر الجسمانية البسيطة ، وكما في النخل والكرم ، افق النبات مع الحلزون والصدف من افق الحيوان ، وكما في القدرة التي استجمع فيها الكيس والادراك ، مع الانسان صاحب الفكر والروية (١٠٥)

يدلنا هذا على ان ابن خلدون يتشابه جدا مع داروين وان في نظرياته صلة قوية بالنظريات الداروينية . (١٠٦)

### النتيجة :-

يعتقد ابن خلدون بالله ، ويقول بقدرته وعنايته ، ويعتبر نظام الكون ونظام المجتمع من سنن الله ، ويظهر اعتقاده هذا ، في كل فصل من فصول المقدمة بوسائل شتى . فالآيات القرآنية والاحاديث الشريفة تدل على اعتقاده بوحداية الله ومشيئته وقدرته مثل هو الواحد القهار - لا شريك له وما الى هنالك من العبارات التي تتجلى فيها حماسه بكل وضوح . لكنه مع كونه مؤمنا ، صادقا في ايمانه الا انه لم يذهب الى ما ذهب اليه الكثيرون من رجال الدين الذين يحاولون تحكيم الشريعة في كل شيء . ذلك لاعتقاده ان مقاصد الشريعة وعنايتها محدودة بحدود لا تتعداها ، وان النبي صلى الله عليه وسلم انما بعث ليعلمنا مسائل التوحيد والمعاد التي لا سبيل الى معرفتها بالانظار العقلية وحدها . وابن خلدون يرى انه لا يمكننا الرجوع الى الاحكام الشرعية والصادر الدينية في الامور التي لا تدخل في نطاق هذه المقاصد والغايات . (١٠٧)

---

(١٠٥) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ص : ١٦

(١٠٦) ساطع الحصري ، دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، ص : ٣٠٢

(١٠٧) ع.ن . ص : ١٦٨

## ابن خلدون ونظرية المعرفة

### تأسيس العلم على المشاهدة المحسوسة والفكر :

لقد عد مذهب ابن خلدون وضعيا لانه يؤسس العلم على المشاهدة المحسوسة والفكر . وقد انتقد نطاق العقل البشري وطريقته في اكتساب العلم بقوله : ان التوجه نحو العقل يكون بقوة الفكر وهي القوة التي تنشأ العلم عنها فتجرد المعاني الكلية من الجزئيات المحسوسة وتركبها على قوانين محصورة وترتيب خاص . وبهذا الرأي يتشابه مع ارسطو وافلاطون لان النفس الانسانية متصلة على حد قوله ، كما بينا سابقا من الجهة السفلى ، بالمدرجات الجسمانية فتكتسب فيها المعرفة ، ومن الجهة العليا متصلة بالملا الاعلى الذي تقتبس منه علما (١٠٨)

وقد اتبع اراء ارسطو وابن سينا في قدرة النفس على المرور من القوة الى الفعل فقال ان النفس توجد اولا بالقوة ثم تستعد لادراك الصور الكلية والجزئية فيتم نشوءها ووجودها بالفعل . ولذلك كان الصبي في اول نشأته لا يقدر على هذا الادراك لان صورة العقل لم تنم له بعد ولم يتعود انتزاع الكليات من الموجودات الخارجية بقوة الفكر . فادراك النفس ما دامت في البدن على نوعين ادراك بالآلات الجسم تدوم فيه اليها الحواس وادراك بذاتها من غير واسطة . والروح العاقل ما دام في بدنه جسماني فلا يمكن التصرف الا بالمدارك الجسمانية ، وهذه المدارك الجسمانية هي موضوع العلم . ولقوة الخيال عمل عظيم في انتزاع الصور

الخيالية من الصور المحسوسة فتحفظها الى حين الحاجة ثم تجرد منها  
صورا نفسانية عقلية فتترقي بالتجريد من المحسوس الى المعقول . فالخيال  
اذن واسطة بين العالم الجسماني والعالم الروحاني . ولذلك كانت النفس  
قادرة على التطلع الى ما فوقها فتلقت الى الملاء الاعلى وهو عالم الادراك  
المحض والعقول الفارقة وعالم الصور والذوات الروحانية فيتجلى فيها شيء  
من تلك الصور ويقتبس منها علومها . وربما دفعت تلك الصور المدركة  
الى الخيال فيصرفه في القوالب المعتادة ثم يراجع الحس به ليتحقق  
مطابقته له . فالنفس اذن في مذهب ابن خلدون تنظر في اقتباس العلوم  
تارة الى الملاء الاعلى وطورا الى الحضيض الاسفل .

والنفوس البشرية او بالاحرى اكثرها عاجزة بالطبع عن الوصول  
الى الادراك الروحاني لاتصالها بالمدارك الحسية التي تنشأ عنها العلوم .  
وهذا الادراك محدود الافق لانه ينتهي الى البديهيات الاولى ولا يتجاوز  
حدودها . فالمعرفة تكتسب اذن عن طريق المدارك الحسية ضمن نطاق  
الفكر . ولا مجال للشك في احكام العقل بالنسبة الى الامور الجزئية لان  
احكامه صادقة في الاشياء التي لا تخرج من طوره . ومن هنا نشيئ ان  
ابن خلدون اهتم في مباحثه في تحصيل اليقين فيما هو مدرك محسوس  
لا فيما هو بعيد عن الحس والتجربة . (١٠٩)

#### حدود العقل :-

ان العقل لا يستطيع ان يصل الى اليقين اذا خرج عن طوره  
وتجاوز حدود امكانياته . ولا يستطيع الاحاطة بالكائنات واسبابها القصوى  
ويمكن ان يكون هناك نوع من الادراك فوق ما يستطيع ادراكه ، يمكنه  
الاطلاع على حقيقة الوجود واسبابه المطلقة . الا ان مداركنا الحسية تضر

عن بلوغه . فالعقل بنظر ابن خلدون محدود من حيث ادراكه الاشياء  
ولا يمكن ان يوزن به امور التوحيد والاخرة وحقيقة النبوة وحقائق الصفات  
الالهية . ولهذا السبب لم يبحث ابن خلدون الماورائيات اى مسائل ما  
بعد الطبيعة لاعتقاده انه لا يمكن الوصول فيها الى حل ولكل شيء ميزانه .  
وقد اعتقد هكذا اغوست كوت وكانت . (١١٠)

يمكننا ان نرى ان نظرية المعرفة ، في رأى ابن خلدون ، على  
ان انواع المعارف تدرك بانواع من الوسائل ، فكما ان الاصوات تدرك بالسمع  
دون البصر ، والالوان بالبصر دون اللمس كذلك المجردات لكل من انواعها  
وسيلة خاصة يدرك بها . ومن هنا قسم ابن خلدون المجردات الى  
قسمين : المدركات العقلية ، والحقائق الروحية فيكون وسيلة الاولى العقل  
المستدير بالمنطق ويكون وسيلة الثانية الالهام الالهى الذى خص به  
الله الانبياء والاولياء من عباد . (١١١)

بالنظر لما كتبه المفكرون من حقائق فقد اعتقد ابن خلدون  
ان الفلاسفة الالهيين قد اعتمدوا في اثبات حقائق علمهم على غير الوسيلة  
اللائقة ، اذ نشدوا الحقائق الروحية بالعقل ، وحكموا فيها بالمنطق فكان  
هذا احدى الاخطاء التى ارتكبوها في اصول فلسفتهم الغيبية . فالروحانيات  
كما قال ابن خلدون - ليست من طور العقل ، كما ان الاصوات ليست  
من طور البصر فلا يمكن اذا اعتبرنا هذه الحالة ، التوصل بالعقل الى  
الحقائق الروحانية كما انه لا يمكن ان نتحقق الاصوات بواسطة البصر .  
ويعطى على ذلك مثلا فيقول ان الميزان الذى يستعمل لوزن الذهب لا يمكن  
ان تزن به الجبال . وبهذا التعبير لم ينف ابن خلدون وجود الحقائق  
الروحانية ، ولكن يعنى ان ما يقرره العقل بشأن هذه الحقائق ليس

---

(١١٠) جميل صليبا ، م.س. ص : ١٠ ، ١١

(١١١) كمال يازجي وانطون كرم ، اعلام الفلسفة العربية ، ص : ١٥١

بالضرورة صحيحا ، فعلم الفلاسفة في ما وراء الطبيعة لا معول عليه ،  
وانما المعول في هذا الموضوع على قوة نفسية روحية ، خصها الله  
بالانبياء والاولياء فمنهم المحرور الذي يرتكز عليه هذا الموضوع "وابن  
خلدون ، ان اخرج الماورائيات من نطاق العقل ، جعل في مكانها  
شؤون المجتمع ، لانه وجد انها من طوره . وهو في موقفه من الغيبيات  
- مثال الفقيه المتحفظ ، كذلك هو في نظره الى الانسانيات مثال  
العالم الدقيق . ذلك انه لم يتابع المتكلمين في ابطال ناموس العلة  
جملة ، انتصارا للشريعة ، بل منع ان يكون الحكم في الامور الغيبية  
للعقل ، وقرر صلاحية العقل للنظر في ظواهر الطبيعة وشؤون الانسان  
بالاطلاق ، واثبت القواعد التي وضعها العقل وكشفها البحث ، واثبات  
بها في معرفة الحقائق وفي الانتفاع بها . فنشأ عن ذلك ان ادخل  
التاريخ - وهو سجل الشؤون الانسانية ، في نطاق العقل ، واخضعه  
للسنن الطبيعية ، لا سيما ناموس العلة " (١١٢)



## نظرة ابن خلدون الى القيم

يعتبر ابن خلدون خلال الحميدة من اهم الصفات التي يجب ان يتحلى بها الانسان ، ان ان الانسان بطبيعته اقرب الى خلل الخير من خلال الشر . ويعتبر ان هذه خلال الحميدة هي اساس الملك ان ينتج عنها حب الخير ومراعاة صالح الامة كما ان الشرائع واحكام البشر تشهد بذلك . فهو يقول " فقد تبين ان خلال الخير شهادة بوجود الملك لمن وجدت له العصبية ، فاذا نظرنا في اهل العصبية ومن حصل لهم من الغلب على كثير من النواحي والاسم فوجدناهم يتنافسون في الخير وخلاله من الكرم والعفو عن الزلات والاحتمال من غير القادر ، والقرى للضيوف وحمل الكل وكسب المعدم والصبر على المكاره والوفاء بالعهد وبذل الاموال في صون الاعراض وتعظيم الشريعة ، واجلال العلماء الحاملين لها والوفاء عند ما يحددونه لهم من فعل او ترك وحسن الظن بهم واعتقاد اهل الدين والتبرك بهم ورغبة الدهاء منهم والحياء من الاكابر والمشايخ وتوقيرهم واجلالهم والانقياد الى الحق مع الداعي اليه وانصاف المستضعفين من انفسهم والتبذل في احوالهم والانقياد للحق والتواضع للمساكين واستماع شكوى المستغيثين والتدين بالشرائع والعبادات والقيام عليها وعلى اسبابها والتجاني من الغدر والكر والخديعة ونقض العهد وامثال ذلك ، علينا ان هذه خلق السياسة قد حصلت لديهم واستحقوا بها ان يكونوا سياسة لمن تحت ايديهم او على العموم ، وانه خير ساقاة الله تعالى

اليهم : (١١٣)

فاذا اردنا ان نستخلص القيم الاخلاقية والخلال الحميدة مما تقدم نجد ان ابن خلدون لم يترك صفة او ناحية اخلاقية الا وأشار اليها واعتبرها من المزايا التي يجب ان يتحلى بها الانسان لكي يستطيع ان يسوس غيره او ان يكون اهلا لادارة الشؤون الكبرى وتحمل المسؤوليات .

وكما انه يرى ان هذه الخلال الحميدة هي اساس الملك والسياسة فانه يرى ايضا ان المؤامرات وانتحال الرذائل يكون سببا في انقراض الملك : "وبالعكس من ذلك اذا تاذن الله بانقراض الملك من اممة حملهم على ارتكاب المؤامرات وانتحال الرذائل وسلوك طرقهما فنفقوا الفضائل السياسية منهم جملة ولا تزال في انقراض الى ان يخرج الملك من ايديهم ويتبدل به سواهم ليكون نعيما عليهم في سلب ما كان الله قد اتاهم من الملك وجعل في ايديهم من الخير" . (١١٤)

وقد اشار ابن خلدون الى القيم الاخلاقية في اثناء حديثه عن الدين والدولة . وقد اشرنا سابقا الى دور الدين كمربي في المجتمع وانه ضروري من حيث هو مهذب للاخلاق وللنفوس البشرية ومن حيث هو باعث على التضامن والتحالف في سبيل الصلحة العامة .

---

(١١٣) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ص : ١٤٣

(١١٤) ع . ن . ص : ١٤٤

## العلم والتعليم

هذه اهم الخطوط الرئيسية لنظريات المعرفة والغيبيات والقيم عند ابن خلدون . يمكننا الان بعد ان اطلعنا على هذه النظريات وعلى طبيعة الفرد والمجتمع والدين ان نستخلص اهم الامور المتعلقة بالعلم والتعليم واهدافه لانها كما قلنا سابقا مستوحاة من طبيعة الفرد والمجتمع وهذه النظريات ، كما لا يخفى ان العلم هو احد العوامل المؤدية الى تقدم المجتمع ونموه بل هو اهمها على الاطلاق .

### العلم والتعليم ظاهرة اجتماعية :-

كما قد اشرنا سابقا ان ابن خلدون ميز الانسان عن الحيوان بفكره الذي يساعده على شق طريقه في الحياة والسعي وراء العيش والمعرفة فهو ابدأ يجد في طلب العلم واستطلاع طبائع الامور . والانسان يبحث بفطرته ممن يمكنه تزويده بالمعارف التي ينبغي معرفتها ويكرر ويستعرض تلك المعارف ، ويدرسها حتى يعرفها او كما يقول ابن خلدون - حتى "يحدقها وتتكون لديه ملكة لها" . وبهذه الطريقة ينشأ التعليم في المجتمع ، وذلك من رغبة العقل الانساني في السعي وراء المعرفة وايجاد السبل للوصول اليها واعتدائها . "فالعلم والتعليم طبيعي في البشر" والمجتمعات لا تخلو منها وهي تتقدم كلما يتقدم المجتمع وترتقي كلما ارتقت الحضارة في تلك المجتمع .

ويعتبر ابن خلدون ان التعليم هو صناعة من تلك الصناعات التي

تنشأ في المجتمع ، وهي تنشأ تدريجيا على حسب ضروريات الحياة في المجتمع ، فكلما تعقد المجتمع تعقدت الصناعات ، لذلك كانت الصناعات في المجتمعات المتحضرة صنائع كمالية مركبة " وهي لا تنشأ الا في هذه المجتمعات وليس في البسيطة منها . ومن هذه الصناعات الغذاء والفنون والتعليم العلم .

ولكي يتعلم الانسان صناعة ما او يحذقها لا بد له من ان يفهمها ويمارسها فيتمكنون له بذلك ملكة بعد هذا التكرار والفهم ، فيكتسب بذلك مهارة في معرفتها وادائها . وقد اعتبر ابن خلدون ان هذه الملكة في الصناعة انما تتم بواسطة العمل الفكري . ولما كان استيعاب العلم وفهمه " انما هو بحصول ملكة في الاحاطة بمبادئه وقواعده والوقوف على مسائله واستتباط فروعه من اصوله " ، فان تعليم العلم هو صناعة ضمن تلك الصنائع المختلفة . والصنائع في المجتمع هي وسائل لكسب العيش وهي ضرورية للانفراد ولتسهيل مهماتهم . لذلك فان طلب العلم والسعي وراء المعرفة والتعليم هي وسائل ايضا لكسب الرزق في المجتمع بالاضافة الى كونها نتائج صحيحة لنشاط العقل البشري .

ومن خلال فلسفة ابن خلدون الاجتماعية يمكننا ان نرى ان هذه الفلسفة قد وجهته وجهة واقعية مادية في شئون العلم والتعليم ذلك لانه لم يفرق بين التعليم العقلي والتعليم العملي بل جعل القوى العقلية ترتبط مع القوى الجسمانية للتعاون في اكتساب عمل او مهارة ما . ذلك لان كل ملكة تكون لدى الانسان لا تتم الا بواسطة القوى الفكرية الجسمانية . وهذا ما يدعو للاعجاب ان ابن خلدون باعجابه هذا وتكثيره يفتق اغاقتا كبيرا مع احداث النظريات النفسية في طريقة التعليم .

الى جانب هذا اعتقد ابن خلدون ان العلم والتعليم ليسا

نشاطا تأمليا مجردا عن الحياة بل انهما ظاهرة اجتماعية ناتجة عن نمو المجتمع وتطوره في الحضارة وهما وليدا الحياة المتحضرة ويعملان على بقائهما والوقفي بها. (١١٥)

#### اربعة

اهداف التعليم : يتبين مما تقدم ان هنالك ~~ثلاثة~~ اهداف رئيسية للتربية بنظر ابن خلدون . واول هذه الاهداف هو ان التعليم يعطي الفرصة للفكر كي ينشط ويعمل لان ذلك ضروري لفتح الفكر ونفجه . ولا شك ان هذا الفكر المفتوح الناضج سيعود بالفائدة على المجتمع ذلك انه داة لتقدم العلوم والصنائع والفنون وخالقها في الحياة الاجتماعية .

والهدف الثاني من التعليم هو ان الانسان يهدف دائما الى السعي وراء المعرفة والى الالمام بنواحيها المختلفة وبهذا يستطيع ان يحيا حياة افضل في مجتمع راق متحضر .

والهدف الثالث هو تنمية الخلال الحميدة التي تعتبر من اهم الصفات التي يجب ان يتحلى بها الانسان . ويعتقد ابن خلدون بان الدين ضروري لايجاد هذه الصفات في المجتمع من حيث هو مهذب للاخلاق وللنفوس البشرية كما انه يساعد على التضامن وعلى بعث روح التعاون في النفوس .

والهدف الرابع من العلم بنظر ابن خلدون هو ان الالمام بالعلوم والصنائع وكسب المهارة في خدمتها وانتقالها يمهّد سبيل كسب العيش . فكما راينا سابقا ان ابن خلدون جعل التعليم احدى المهن التي تستغل للكسب والارتزاق .

---

(١١٥) فتحية حسن سليمان ، بحث في المذهب التربوي عند ابن خلدون ، ص : ٢٦

### علم النفس التربوي :

لم يخصص ابن خلدون في مقدمته فصلا معيناً عن علم النفس ولم يعرف هذا العلم او يطرقيه بصورة مباشرة . ولكنه اتى على ذكر بعض الاراء والنظريات النفسية عرضاً في اماكن مختلفة من المقدمة . وسنحاول ان ناتي على ذكر الالهام منها ما يفيد نورا على بحثنا ويتعلق بصورة خاصة بالتعليم .

الملكات : في مقدمة ابن خلدون نظرية واسعة النطاق عن "الملكات" تتناول كيفية تكونها من جهة ، وعملها في حياة الانسان العقلية والعملية من جهة اخرى .

فالملكة التي يتحدث عنها ابن خلدون هي الصفة الراسخة التي تكتسبها النفس من جراء التكرار والممارسة ، والتي تؤدي الى حصول الاعمال الفكرية والجسدية بسرعة وسهولة ، ان جعلها بمثابة "الجبلة والفطرة" فهو يقول : "الملكة ، صفة راسخة في النفس ، تحصل عن استعمال الفكر وتكرره مرة بعد اخرى" (١١٦)

"الصناعة ملكة في امر عملي فكري" .

"اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة" . وان هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني . (١١٧)

"ان الخدمة في العلم والفن فيه والاستيلاء عليه ، انما هو بحصول ملكة في الاحاطة بعبادته وقواعده والوقوف على مسائله واستتباط فروعه من اصوله . وما لم تحصل هذه الملكة لم يكن الخدمة في ذلك الفن المتناول حاصلاً .

---

(١١٦) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ص : ٤٠٠

(١١٧) عـنـن . ص : ٥٥٤

وهذه الملكة هي غير الفهم والوعي ، لاننا نجد فهم المسألة الواحدة من الفن الواحد ووعيها مشتركا بين من شدا في ذلك الفن وبين من هو مبتدئ فيه ، وبين العاقي الذي لم يعرف علما وبين العالم الخبير . والملكة انما هي للعالم او الشاوي في الفنون دون من سواها : (١١٨)

يقول الاستاذ ساطع الحصري ، ان نظرية ابن خلدون في الملكات ، تستند الى ملاحظة مبدا " نفسي عام : ان كل فعل ماديا كان او معنويا ، فكريا كان او بدنيا لا بد من ان يترك اثرا في النفس . فاذا تكرر الفعل ، وتكرر اثره في النفس ، تولد من ذلك صفة ، ثم رسخت تلك الصفة ، فكونت ملكة . والملكة التي تحدث على هذا المنوال من جراء تكرر الفعل ، تنمو شيئا فشيئا ، تبعا لهذا التكرار ، كأنها تتغذى به (١١٩) " الملكات لا تحصل الا بتكرار الافعال . لان الفعل يقع اولا ، وتعود منه للذات صفة ، ثم تتكرر ، فتكون ملكة ، اي صفة راسخة . (١٢٠)

بعد ان يقرر ابن خلدون هذه الامور يردّها الى قانون نفسي عام . فيقول ان النفس الانسانية وقواها المختلفة لا تظهر دفعة واحدة ولا كاملة ، بل انها تخرج من القوة الى الفعل شيئا فشيئا ، فتتطور وتنشأ تدريجيا : " ان النفس انما تنشأ بالادراكات وما يرجع اليها من الملكات " .

يتتبع ابن خلدون كيفية تكون الملكات في شتى الميادين ، من الاخلاق الى العلوم والصنائع والعبادات :

" الملكة الشعرية تنشأ بحفظ الشعر ، وملكة الكتابة بحفظ الاسجاع والترسل ، والعلمية بمخالطة العلوم والادراكات والابحاث والانظار ، والفقهية

---

(١١٨) ابن خلدون ، ع . س . ص : ٤٣٠

(١١٩) ساطع الحصري ، دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، ص : ٤٢٤

(١٢٠) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ص : ٥٥٤

بمخالطة الفقه وتنظير المسائل وتفريعها وتخريج الفروع على الأصول ،  
والصوفية الربانية بالعبادات والازكار وتعطيل الحواس الظاهرة بالخلوة  
والانفراد عن الخلق ما استطاع : (١٢١)

يلاحظ ابن خلدون " ان الصنائع والملكات لا تزدهم \* ويعمل  
ذلك بما يلي : ان الملكات صفات للنفس ، والنفس اذا اتصفت بصفة ما ،  
يصعب عليها ان تصف بصفة اخرى ، ولا سيما اذا كانت هذه الصفة  
مخالفة للاولى . وتعبير اخر : " ان النفس تتلون بالملكات ، فاذا تلونت  
بلون من الالوان يصعب عليها قبول لون اخر ، غير اللون الاول . " (١٢٢)

يقرر ابن خلدون الى جانب هذا ان من تملك في نفسه  
موهبة او ملكة وحدق صناعة ما ، تطفي هذه الموهبة على حواسه فتتلبس  
بها وتنزع بعد ذلك على هذه الحواس ان تتقبل بنفس الامكانية وبذات  
درجة الحدق الموهبة الجديدة او الصنعة الجديدة . واذا وجد شخص  
يجيد اكثر من صنعة ويتقنها بنفس الاتقان فان ذلك نادرا ما يكون .  
وانه لا بد ان يكون قبول النفس للموهبة او الملكة الجديدة اقل منه  
للموهبة السابقة المملكة . ويجدر النظر ان من اراد ان يتقن صناعة  
ما او علما ما يجب ان يكون هذا العلم قد اخذ والنفس لا تزال على  
الفطرة اى نظيفة وقابلة للاخذ بدون تشويش وبذلك تنمو الموهبة مع نمو  
الانسان وتكبر معه . (١٢٣)

لقد رأى ابن خلدون ان الملكات مكتسبة ، ورأى ايضا ان قوة  
ملكه لا تنمو الاخرى .

---

(١٢١) ابن خلدون ، ع.س. ص : ٥٧٨

(١٢٢) ع.ن. ص : ٥٦٦

(١٢٣) ع.ن. ص : ٤٠٥



وعلم النفس يقرر ان العقل وحدة كاملة لا يمكن تجزئتها ،  
ولا تقسيمها الى قوى ، وان اعماله متصلة ، وان تمرين ملكة واحدة وتقويتها  
في ناحية معينة يقويها في هذه الناحية وحدها ، ولا يحدث اى تغيير  
جوهري في النواحي الاخرى لهذه الملكة او لغيرها .

نرى مما تقدم ان علم النفس الحديث يتفق مع ابن خلدون  
في ان تقوية ملكة لا يؤدى الى تقوية ملكة اخرى ، ويخالفه في تقسيمه  
الاعمال العقلية الى ملكات منفصلة ، لهذا لا يرى ان من العسير على شخص  
ان يجيد صناعيتين او علميتين في ان واحد ، او في زمنين متعاقبين .

ولكن مهما كان هذا الامر فهو لا يمنعنا من ان نعتبر ان  
نظرية الملكات التي اشرنا اليها سابقا هي من اهم الاسس التي يبنى  
عليها ابن خلدون آراءه في التربية والتعليم .

الفطرة : لابن خلدون في فطرة الطفل ثلاثة آراء مختلفة : -

(١) يقول ان اهل البادية اقرب الى الخير من اهل الحاضرة ، لان  
نفوسهم وهي على الفطرة استبقت اليها عوامل الخير فقربتهم من  
الخير ، اما الحضرة فقد اسرعت اليهم عوامل الشر فادنتهم من الشر ،  
ويستدل على ذلك بقوله (هـ) : " كل مولود يولد على الفطرة ، فابواه  
يهودانه او نصرانه او مجسانه " (١٢٤) فابن خلدون هنا يريد ان  
يبين ان طبيعة الطفل نقية صافية تخلو من الشر والخير معا .

(٢) يقول بعد ذلك " اعلم ان الله سبحانه ركب في طبائع البشر الخير  
والشر ، كما قال تعالى : " وهدينا للنجدين " وقال : فالفهم

فجورها ونحوها \* . والشر اقرب الخلال الى الانسان اذا اهلته نفسي  
مرعى عاداته ، ولم يهذب به الاقتداء بالدين ، وذلك شأن الاكثريين  
الا من عصم الله ووقفه . ومن اخلاق البشر الظلم والعدوان ، فمن  
امتدت عينه الى متاع اخيه امتدت يده الى اخذه ، الا ان يصده  
وازع \* . (١٢٥)

يتبين لنا هنا ان ابن خلدون يرى ان الانسان بفطرته اقرب  
الى الشر ميال اليه ما لم يردعه عن ذلك وازع منه او دين .

(٣) يقول في موضع اخر ان الانسان اقرب الى خلال الخير باصل فطرته ،  
وقوته الناطقة العاقلة ، لان الشر انما جاء من قبل القوى الحيوانية  
التي فيه ، واما من حيث انه انسان فهو الى الخير وخلاله اقرب .  
وهنا نرى ان ابن خلدون يعود فيقرر ان الانسان اميل الى  
الخير بطبعه ، وعلى هذا فاننا لا نستطيع ان نوفق بين هذه الاراء  
الثلاثة لانها متضاربة . وقد يزول هذا التناقض الظاهر في اراء ابن  
خلدون اذا علمنا انه يقرر بان الانسان اميل الى الخير بطبيعته  
نفسه ، او روحه ، والخيرة ، وانه اميل الى الشر بسبب القوى الحيوانية  
المسيرة لبذنه . لكننا نقول ان الطفل يولد وهو كالفحة البيضاء  
نقيا صافيا من الخير والشر معا ، لكنه مستعد لها جميعها . والعلم  
يقر ذلك لان الطفل بعد ان يولد يتغير ويتكيف بحسب ميوله واستعداداته  
وحسب البيئة وحوادثها وممارستها .

بالاضافة الى ما مر سابقا فقد وردت ملاحظات نفسية مغرقة  
في عدة مواضع من المقدمة سنأتي على ذكر اهمها : -

يقرر ابن خلدون تأثير التشيع في المحاكمات الذهنية ،  
ويعبر عن هذا التأثير بكل وضوح : " ان النفس اذا كانت في حالة  
الاعتدال في قبول الخبر اعطته حقه من التحييص والنظر ، حتى تتبين  
صدقه من كذبه . واذا خامرها تشيع لرأى او نحلة ، قبلت ما يوافقها  
من الاخبار لاول وهلة ، وكان ذلك الميل والتشيع غطاءً على عين بصيرتها  
عن الانتقاد والتحييص . " (١٢٦)

يتكلم ابن خلدون عن كيفية تكون الطبائع والسجاي ، من  
جراثم الالفة والمران :

" الانسان ابن عوائده ومالوفه ، لا طبيعته ومزاجه . " (١٢٧)  
" ان تكون السجاي والطبائع انما هو من المالوف والعوائد . " (١٢٨)  
" ان العوائد تغلب طباع الانسان الى مالوفها فهو ابن عوائده لا ابن  
نسيبه . " (١٢٩)  
" ان النفس اذا الفت شيئاً صار من جبلتها وحلقته . " (١٣٠)  
" اذا الف الانسان بعض الاحوال ، صار ذلك له خلقاً وملكة وعادة ، تنزل  
منزلة الطبيعة والجبلدة . " (١٣١)

يميز ابن خلدون الحوادث النفسية الاطلاعية من الانفعالية :  
" ان الانسان بما هو انسان انما يتميز عن سائر الحيوان بالادراك . وادراكه  
نوعان : ادراك للعلوم والمعارف ، من اليقين والشك والظن والوهم ، وادراك  
للاحوال القائمة ، من الفرح والحزن ، والقبض والبسط ، والرضا والغضب ،  
والصبر والشكر وامثال ذلك . فالروح العاقل والمتصرف في البدن تشاء

(١٢٦) ابن خلدون ، ع. م. ص : ٣٥

(١٢٧) ع. م. ص : ١٢٥

(١٣٠) ع. م. ص : ١٠

(١٢٨) ع. م. ص : ١٣٨

(١٣١) ع. م. ص : ١٢٥

(١٢٩) ع. م. ص : ٣٨٤

من ادراكات وارادات واحوال . وهي التي يميز بها الانسان . وبعضها ينشأ عن بعض ، كما ينشأ العلم من الادلة ، والفرح والحزن عن ادراك المولم والمتلذذ به ، والنشاط عن الجسام والكسل عن الاعياء . (١٣٢)

### التربية العقلية :-

حينما يتكلم ابن خلدون عن الصنائع والعلوم في بعض الفصول ، يبين تأثير العلم في العقل . ففي الفصل المعنون " ان الصنائع تكسب صاحبها عقلا جديدا " يوضح ذلك بقوله : " ان اكتساب العلوم والصنائع يوصل الى زيادة عقل الانسان ، ويفيد النفس الناطقة عقلا جديدا . والصنائع ابدا يحصل عنها وعن ملكتها قانون علمي مستغاد من تلك الملكة . فلهذا كانت الحنكة في التجربة تفيد عقلا ، والحضارة الكاملة تفيد عقلا . . . " والصنائع والعلوم يحصل منها زيادة عقل : (١٣٣)

ويشرح ابن خلدون رايه هذا في موضع اخر بوضوح اشد ، اذ يقول في الفصل الذي يقرر " ان التعليم للعلم من جملة الصنائع : " كل صناعة مرتبة يرجع منها الى النفس اثر يكسبها عقلا جديدا ، يستعد به لقبول صناعة اخرى ، وتهيأ بها العقل بسرعة الادراك للمعارف . . . " (١٣٤) " حسن الملكات في التعليم والصنائع وسائر الاحوال العادية يزيد الانسان ذكاء في عقله وازاءة في فكره ، بكثرة الملكات الحاصلة للنفس " ان ما يظهر على اهل الحضار من اثار الذكاء والكمال في العقل " انما هو من رونق الصنائع والتعليم ، فان لها اثارا ترجع الى النفس " . (١٣٥)

---

(١٣٢) ابن خلدون ، تاريخ العلامة ابن خلدون ، ص : ٨٤٣

(١٣٣) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ص : ٤٢٨

(١٣٤) ع.ن . ص : ٤٣٣

(١٣٥) ع.ن . ص : ٤٣٣

لا يكتفي ابن خلدون بتقرير هذا المبدأ العام ، بل يتوسع في تطبيقه على عدة مواضيع ، في عدة علوم : (١٣٦)

يقرر في فصل الخط والكتابة ، " ان الكتابة اكثر افادة لزيادة العقل وتقوية ملكات الادراك والانتقال " ويعلل ذلك بما يلي : " لانها تشمل على العلوم والانظار ، بخلاف الصنائع . وبيانها : ان في الكتابة انتقالا من الحروف الخطية الى الكلمات اللفظية في الخيال ، ومن الكلمات اللفظية في الخيال الى المعاني التي في النفس ، ذلك دائما ، فيحصل لها ملكة الانتقال من الادلة الى المدلولات . وهو معنى النظر العقلي الذي يكسب العلوم المجهولة . فيكسب بذلك ملكة من العقل ، تكون زيادة عقل ، ويحصل به قوة فطنة وكيس في الامور ، لما تعودوه من الانتقال " . (١٣٧)

وفي فصل الهندسة يقرر ابن خلدون انها غيد صاحبها " اضافة في عقله واستقامة في فكره " ويعلل ذلك بما يلي : " لان براهينها كلها بينة النظام ، جليلة الترتيب ، لا يكاد الغلط يدخل في اقسيتها ، لترتيبها وانتظامها . فيبعد الفكر بممارستها عن الخطأ ، وينشأ لصاحبها عقل على ذلك المهيح " . (١٣٨)

يقرر ابن خلدون فائدة الحساب ايضا على هذا المنوال ، ويوصي لذلك بالبدء بالحساب في تعليم الولدان . فانه يقول في فصل العلوم العددية ما يلي : (١٣٩) " هذه الصنافة (صناعة الحساب) حادثة احتياج اليها للحساب في المعاملات . والى الناس منها كثيرا . وتداولوها في الاصدار بالتعليم للولدان . ومن احسن التعليم عندهم

---

(١٣٦) ساطع الحصرى ، دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، ص : ٤٤١

(١٣٧) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ص : ٤٢٩

(١٣٨) من : ص : ٤٨٦

(١٣٩) ساطع الحصرى ، دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، ص : ٤٤٢

الابتداء بها . لانها معارف متفحة وبراهين منتظمة ، فينشأ عنها  
في الغالب عقل مضيء درب على الصواب . وقد يقال من اخذ نفسه  
بتعليم الحساب اول امره ، يغلب عليه الصدق ، لما في الحساب من  
صحة المباني ومناقشة النفس ، فيصير ذلك خلقا ، ويتعود الصدق ،  
ويلازم مذهبا . (١٤٠)

ويقول ابن خلدون في بحث الفلسفة - بعد ان يوصي بابطالها -  
"ليس له في علمنا الا ثمرة واحدة ، وهي شحذ الذهن في ترتيب الادلة  
والحجج ، لتحصيل ملكة الجودة والصواب في البراهين . وذلك ان نظم  
المقاييس وتركيبها على وجه الاحكام والاتقان ، هو كما شرطوه في صناعتهم  
المنطقية ، وقولهم بذلك في العلوم الطبيعية ، وهم كثيرا ما يستعملونها  
في علومهم الحكيمة - من الطبيعيات والتعاليم وما بعدها - فيستولسي  
على الناظر فيها ، بكثرة استعمال البراهين بشروطها ، على ملكة الاتقان  
والصواب في الحجج والاستدلالات . (١٤١)

يتبين من كل ذلك ان ابن خلدون كان يعتقد بتأثير العلم  
"التربوي" وان لم ينعت ذلك بتعبير خاص . ومن خلال كلامه عن التعليم ،  
يلاحظ ما يحصل في نفس المتعلم من "الانتقال" Transfert حسب تعبير  
العلم الحاضر ، من جراء التعليم . وقرر ان تأثير التعليم لا ينحصر  
في العقل وحده ، بل يتعداه الى الاخلاق ايضا ، وبتعبير اخر : ان  
"الانتقال" من التعلم يكون فكريا وخلقيا في وقت واحد . (١٤٢)

### منشاء التعليم :-

يبحث ابن خلدون عن منشاء التعليم ، بجانب منشاء العلم

---

(١٤٠) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ص : ٤٨٣

(١٤١) ع . ن . ص : ٥١١

(١٤٢) ساطع الحصري ، دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، ص : ٤٤٣

ويقدر ان "العلم والتعليم طبيعي في العمران البشرى" ويعلل ذلك بما يلي : "ان الانسان يتميز عن الحيوانات بالفكر الذى يهتدى به لتحقيق معاشه ، والتعاون عليه بابناء جنسه ، والاجتماع المهي لذلك التعاون ، وقبول ما جاءت به الانبياء عن الله تعالى ، والعمل به واتباع صلاحه ، فهو يفكر في ذلك كله دائما لا يفتر عن الفكر فيه طرفة عين . بل اختلاج الفكر اسرع من لمح البصر . وعن هذا الفكر تشاء العلم وما قدمناه من الصنائع . ثم من اجل هذا الفكر ، وما جبل عليه الانسان بل الحيوان من تحقيق ما تستدفيه الطبائع ، فيكون الفكر راغبيا في تحقيق ما ليس عنده من الادراكات ، فيرجع الى من سبقه بعلم ، او زاد عليه بمعرفة او ادراك ، او اخذه من تقدمه من الانبياء - الذين يبلغونهم لمن تلقاه - فيلقن ذلك عنهم ويحرص على اخذه وعلمه" (١٤٣)

"ثم ان فكره ونظيره يتوجه الى واحد واحد من الحقائق وينظر ما يعرض له لذاته واحدا بعد اخر ، ويتمرن على ذلك ، حتى يصير الحاق العوارض بتلك الحقيقة ملكة له . فيكون حينئذ علمه بما يعرض لتلك الحقيقة علما مخصصا . وتتشوف نفوس اهل الجيل الناشئ الى تحقيق ذلك ، فيفزعون الى اهل معرفته ، ويحيى التعليم من هنا" (١٤٤)

يتبين لنا من هذا الكلام ان ابن خلدون ينظر هنا الى التعليم من زاوية علمه الاجتماعي ، ويقدر بانه "افعولة اجتماعية" . حسب تعبير ساطع الحصرى . كان المفكرون يعرفون التربية والتعليم تارة حسب غاياتها وطورا حسب وسائلها . ولكنهم في اخر الامر صاروا يلاحظون انها افعولة اجتماعية ، فاخذوا يعرفونها حسب علاقاتها بالحياة الاجتماعية (١٤٥)

---

(١٤٣) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ص : ٤٢١ - ٤٣٠

(١٤٤) عـنـنـ ص : ٤٣٠

(١٤٥) ساطع الحصرى ، دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، ص : ٤٤٤

وما جاء به ابن خلدون في هذا الصدد ، في الربع الأخير من القرن الرابع عشر ، له أهمية كبرى من هذه الوجهة ، لأنه يدل دلالة واضحة على أنه نظر إلى القضية نظر "المفكر الاجتماعي" ، ولاحظ أن الجيل الناشئ يتشوق إلى تلقي العلوم والمعارف من الجيل الذي سبقه ، فرد بذلك منشأ التعليم إلى هذا "الواقع الاجتماعي" (١٤٦).

/ يلاحظ ابن خلدون أمرا مماثلا لذلك في الصناعات والآداب والتقاليد أيضا ، لأنه يقول في الفصل الذي يقرر "أن التعليم للعلم من جملة الصنائع".

"أن الحضر لهم آداب في أحوالهم في المعاش والمساكن والبنادق وأمور الدين والدنيا ، وكذا سائر أعمالهم وعاداتهم ومعاملاتهم وجميع تصرفاتهم . فلهم في ذلك كله آداب يقف عندها في جميع ما يتناولونه ويتلبسون به من أخذ وترك ، حتى كانوا حدود لا تتعدى . وهي مع ذلك صنائع يتلقاها الآخر عن الأول منهم" (١٤٧) فقول "يتلقاها الآخر عن الأول" لا يختلف في الدلالة والمعنى عن قول المفكر الاجتماعي المشهور "أميل دوركهايم" عندما عرف التربية في أوائل القرن الحالي أنها "التأثير الذي يجريه الجيل الراشد في الجيل الناشئ" (١٤٨).

يرى ابن خلدون أن هنالك علاقة قوية بين العلوم وبين الصنائع ، وستعمل كلمة التعليم بمعنى شامل ، يتناول العلوم من جهة ، والصنائع من جهة أخرى . فهو يقول : "أن الصنائع لا بد لها من العلم" "وإن التعليم للعلم من جملة الصنائع" (١٤٩).

---

(١٤٦) ساطع الحصري ، ج ٢ ص ٤٤٤

(١٤٧) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ص ٤٣٣

(١٤٨) ساطع الحصري ، دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، ص ٤٤٥

(١٤٩) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ص ٤٣٠



يذهب بعدها الى تعريف ماهية الصناعة فيقول : "الصناعة هي ملكة في امر علمي فكري" . ثم يوضح نظره الى العلم فيقول : "الحذق في العلم هو بحصول ملكة في الاحاطة ببادئ ذلك العلم وقواعده" وبما انه يعتقد ان الملكات كلها سواء كانت في البدن او في الدماغ ، تختص الى التعليم فيقول : "ولهذا كان السند في التعليم ، في كل علم او صناعة الى مشاهير المعلمين فيها ، معتبرا في كل افق وجيـل" . (١٥٠)

#### تطور التعليم ونشوءه :

ينظر ابن خلدون الى تطور التعليم ونشوءه بنزعة اجتماعية لانه يلاحظ التأثير باحوال المجتمع الى حد كبير ، ويتقدم ويتأخر مع هذه الاحوال ، وذلك في ميداني العلم والصناعة على حد سواء . (١٥١)

لذلك فهو يقول في فصل من الفصول "ان الصنائع انما تكمل بكمال العمران الحضري وكثرت" وفي فصل اخر "ان الصنائع انما تستجد وتكثر اذ تكثر طالبها" وان العلم انما تكثر حيث تكثر العمران والحضارة (١٥٢)

يقول ابن خلدون : "ان الصنائع والعلوم انما هي للانسان من حيث فكرة الذي يتميز به عن الحيوانات ، والقوت له من حيث الحيوانية والغذائية ، فهو مقدم عليه لضرورته على العلوم والصنائع ، وهي متأخرة عن الضروري . وعلى مقدار العمران تكون جودة الصنائع للتائق فيها حينئذ ، واستجداء ما يطلب منها ، بحيث تتوفر دواعي الترف والثروة . واما العمران البدوي او القليل فلا يحتاج من الصنائع الا البسيط خاصة

---

(١٥٠) ابن خلدون ، ج ١ ص ٤٣٠

(١٥١) ساطع الحصري ، دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، ص : ٤٤٦

(١٥٢) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ص : ٤٣٤

المستعمل في الضروريات ... واذا وجدت فيه لا توجد كاملة ولا مستجادة ،  
وانما توجد فيها بقدر الضرورة ، اذ هي كلها وسائل الى غيرها ، وليست  
مقصودة لذاتها . (١٥٣)

ويقول ابن خلدون في فصل اخر " ان الصنائع تستجد وتكثر  
اذ اكثر طالبها " ويعلل ذلك بما يلي :

" والسبب في ذلك ظاهر ، وهو ان الانسان لا يسمح بعمله ان  
يقع مجانا ، لانه كسبه ومعاشه " . اذ لا فائدة له في جميع عمره فسي  
شيء مما سواه . فلا يعرفه الا فيما له قيمة عنده ، ليعود عليه  
بالنفع . وان كانت الصناعة مطلوبة وتوجه اليها النفاق ، كانت حينئذ الصناعة  
بمثابة السلعة التي تنفق سوقها وتجلب للبيع . فتجتهد الناس في  
المدينة لتعلم تلك الصناعة ليكون منها معاشهم . واذا لم تكن الصناعة  
مطلوبة لم تنفق سوقها ، ولا يوجد قصد الى تعلمها ، فاختصت بالترك  
وفقدت للاهمال . (١٥٤)

ويقول في الفصل الذي يقرر " ان العلم انما تكثر حيث يكثر  
ال عمران وتعظم الحضارة " :

" ان تعليم العلم من جملة الصنائع . وقد كما قدمنا ان الصنائع  
فانما تكثر في الامصار ، وعلى نسبة عمرانها في الكثرة والقلّة ، والحضارة  
والتدرف تكون نسبة الصنائع في الجودة والكثرة . لانه امر زائد على المعاش .  
فتمس فقلت اعمال اهل العمران عن معاشهم ، انصرفت الى ما وراء المعاش  
من التصرف في خاصية الانسان وهي العلم والصنائع . ومن تشوف بفطرته الى  
العلم من نشاء في القري والامصار غير المتدنة ، فلا يجد فيها التعليم  
الذي هو صناعي ، لفقدان الصنائع في اهل البدو كما قدمناه . ولا بد

---

(١٥٣) ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ، ص : ٤٠١

(١٥٤) عـنـ ص : ٤٠٣

له من الوحدة في طلبه الى الامصار المستجرة ، شان الصنائع كلها<sup>(١٥٥)</sup>

يكرر ابن خلدون ويؤكد هذه المبادئ في عدة فصول من المقدمة اهمها ما جاء في فصول الخط والكتابة . (١٥٦)

### طريقة التعليم :

يشرح ابن خلدون طرق التربية المختلفة التي كانت متبعة في المشرق والمغرب عند المسلمين في عصره باسهاب ومقارنات . لكنه يلاحظ عدم كفاية هذه الطرق ويقترح طريقة جديدة مبتكرة . وهو يرى ان غاية التربية هي اعداد رجال يستطيعون العيش جيدا . فهو يشبه اساطين التربية الحديثة في ذلك ولا سيما سبنسر ويختلف عن العلماء القدماء مثل افلاطون وارسطو ومونتسكيو في ان التربية هي اعداد افراد يستطيعون تأليف احسن حكومة . (١٥٧)

ففي الفصل الذي يقرر في ان كثرة التأليف في العلوم عائقة عن التحصيل . يقول : " اعلم انه ما اضر بالناس في تحصيل العلم والوقوف على غاياته كثرة التأليف واختلاف الاصطلاحات في التعليم ، وتعدد طرقها ، ثم مطالبة المتعلم والتلميذ باستحضار ذلك ، وحينئذ يسأل له منصب التحصيل فيحتاج المتعلم الى حفظها كلها او اكثرها ومراعاة طرقها ، ولا يفي عمره بما كتب في صناعة واحدة اذا تجرد لها ، فيقبح القصور ولا بد دون رتبة التحصيل . " (١٥٨)

ثم يعطي بعد ذلك مثالا في تعلم الفقه والشروحات الفقهية

---

(١٥٥) ابن خلدون ، م . م . ص : ٤٣٤

(١٥٦) ساطع الحصري ، دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، ص : ٤٤٨

(١٥٧) طه حسين ، فلسفة ابن خلدون الاجتماعية ، ص : ١٦٠

(١٥٨) ابن خلدون ، تاريخ العلامة ابن خلدون ، ص : ١٩١

فيقول ان المتعلم عليه باستحضار جميع كتبها وشروحاتها فيقضي عمره كله لكي يستحضر واحدا فيها .

ثم يقول : ولو اقتصر المتعلمون بالتعليم على المسائل المذهبية فقط لكان الامر دون ذلك بكثير وكان التعليم سهلا وماخذة قريبا ، ولكنه داء لا يرضع لاستقرار العوائد عليه ، فصارت كالطبيعة التي لا يمكن نقلها ولا تحويلها .<sup>(١٥٩)</sup> لم يكتف بهذا بل ذهب ينتقد معاصريه في ترواحي اخرى . فهو في الفصل القائل " في ان كثرة الاختصارات المؤلفة في العلم مخلة بالتعليم " يقول ان المتأخرين عمدوا كثيرا الى اختصار الطرق والانحاء في العلوم يولفون فيها برنامجا مختصرا في كل علم وذلك باختصار الالفاظ وحشو القليل منها بالمعاني الكثيرة . ويعتبر ذلك مخلا بالبلاغة وصعبا على الفهم ويقول ايضا " وهو فساد في التعليم وفيه اخلال بالتحصيل ، وذلك لان فيه تخليطا على المبتدئ بالقاء الغايات من العلم عليه ، وهو لم يستعد لقبولها بعد ، وهو من سوء التعليم . . . ، ثم فيه مع ذلك شغل كبير على المتعلم بتتبع الفاظ الاختصار العويصة للفهم بترجم المعاني عليها وصعوبة استخراج المسائل من بينها . لان الفاظ المختصرات تجدها لاجل ذلك صعبة عويصة ، فينقطع في فهمها حظ صالح من الوقت .<sup>(١٦٠)</sup>

ثم يتحدث بعد ذلك عن الملكة الحاصلة من التعليم في تلك المختصرات فيقول انها ملكة قاصرة عن الملكات التي تحصل من الموضوعات البسيطة المطولة لان في الاخيرة يحصل التكرار والاحالة والاعادة ، هذه الاشياء المفيدة والمساعدة لحصول الملكة التامة . فاذا قل التكرار واختصر

---

(١٥٩) ابن خلدون ، ع.س. ص : ١٠٠٠

(١٦٠) ع.ن. ص : ١٠٠١

فتحصل الملكة الغامضة صعب جدا لعدم تمكن المتعلم منها (١٦١)

واذا كان ابن خلدون قد انتقد المعلمين وطرقهم التعليمية في عصرهم لجهلهم بطبائع الاطفال ، فان في لوم روسو للمعلمين شيئا يشبه ما قاله ابن خلدون ، ذلك لانهم راوا ان العلم لا يجدى الا اذا كان صعبا معقدا ، وقد قال هوفى مقدمة كتابه "اميل" ان كثيرا من هؤلاء المربين يخطئون في تربية الاطفال الصحيحة ان انهم يعاملونهم كالرجال ، جاهلين ان عقولهم الصغيرة تعجز عن ادراك ما يدركه الكبار (١٦٢)

٨ يرى ابن خلدون ان التعليم صناعة خاصة غايتها اثبات ملكة العلم في نفوس المتعلمين لا حمل المتعلمين على حفظ فروع العلم . وهو يصنع لتحقيق هذه النظرية قواعد عامة :

(١) مراعاة مقدرة المتعلم العقلية فيما يلقى اليه من نوع العلم ومقدار ذلك النوع : ففي فصل "في وجه الصواب في تعليم العلوم وطرق افادته" يقول ان تلقين العلوم يجب ان يكون تدريجيا ، لا يكون دفعة واحدة بل على دفعات اى شيئا فشيئا . وعلى المعلم ان يراعى في ذلك التلميذ من حيث امكانياته العقلية واستعداده لقبول المادة التي يتعلمها فيحاول شرحها له على سبيل الاجمال . بهذه الطريقة تحصل له ملكة في ذلك تهينه لفهم الفن وتحصيل مسائله ، لكن هذه الملكة تكون في بادى الامر جزئية وضعيفة .

بعد هذا العمل الاول يعود المعلم بالمتعلم مرة اخرى ويعيد عليه ما تعلمه ثانية لكن بطريقة تختلف عن الاولى ، وذلك بالخروج عن الاجمال وباستيفاء الشرح والبيان ، ثم يبين اوجه الخلاف ويستمر في ذلك

---

(١٦١) ابن خلدون ، ع . س . ص : ١٠٠٢

(١٦٢) احمد الحوفى ، مع ابن خلدون ، ص : ٢٤

الى اخر الفن عندها تجود الملكة . بعد هذه الخطوة يعود المعلم بالمتعلم ويشرح له كل صعب وعويص ، مبينا له النقاط الغامضة ثم يوضح له المادة بشكل يبعد عنهما التعقيد ويكون ذلك سهلا لان المتعلم يكون قد استولى على ملكته .

"اعلم ان تلقين العلوم للمتعليمين انما يكون مفيدا اذا كان على التدرج شيئا فشيئا قليلا قليلا ، يلقي عليه اولا مسائل من كل باب من الفن هي اصول ذلك الباب ، ويقرب له في شرحها على سبيل الاجمال ويراعي في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يرد عليه ، حتى ينتهي الى اخر الفن ، وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم الا انها جزئية وضعيفة ، وغايتها انها هيأته لفهم الفن وتحصيل مسائله ، ثم يرجع به الى الفن ثانية فيرفعه في التلقين عن تلك الرتبة الى اعلى منها ، ويستوفي الشرح والبيان ويخرج عن الاجمال ويذكر له ما هنالك من الخلاف ووجهه الى ان ينتهي الى اخر الفن فتجود ملكته ، ثم يرجع به وقد شد فلا يتترك عويصا ولا مهما ولا مغلقا الا وضح وفتح له مقلده فيخلص من الفن وقد استولى على ملكته .- (١٦٣)

نرى من هذا الكلام ان ابن خلدون اراد التدرج بالمتعلم من السهل الى الاقل سهولة في ثلاث تكرارات ، فيعطي المتعلم في اول الامر اصول العلم وبسائطه الاولى ، فيتهيا حينئذ عقله لقبول جوامع ذلك العلم . لكن ابن خلدون لا يعتمد هذه الطريقة مع الكل اذ انه يقول ان ذلك يتوقف على طبيعة المتعلم واستعداده ومقدرته لفهم ذلك الفن . وأشار الى التدرج من السهل الى الصعب ، فتعليم الصبي القرآن اولا وحروف الهجاء ومعالم الدين ، ويروي الوجز ثم القصيد ، فاذا ما فرغ من تعلم القرآن وحفظ اصول الفقه وجهه الى ما يراود له . (١٦٤)

(١٦٣) ابن خلدون ، تاريخ العلامة ابن خلدون ، ص : ١٠٠٢ - ١٠٠٣

(١٦٤) احمد الحوفي ، مع ابن خلدون ، ص : ٢١

وراعى الفارابي هذا الاستعداد أيضا في قوله: "من المتعلمين من لهم طبائع رديئة ، يقصدون تعلم العلوم ليستعملوها في الشرور ، فينبغي للمرء أن يحملهم على تهذيب الاخلاق ، ولا يعلمهم شيئا من العلوم التي اذا عرفوها استعملوها فيما يجب . . . ومنهم البلداة الذين لا يرجى ذكاؤهم وبراعتهم فينبغي ان يحثهم على ما هو اعدود عليهم . ومنهم ذوو الاخلاق الظاهرة والطبائع الجيدة ، فيجب ان لا يدخر المعلم عنهم شيئا مما عندهم من العلوم". (١٦٥)

ثم اشار الغزالي الى قدرة المتعلم العقلية بقوله: "من آداب المتعلم ان يبداء بالاهم والا يخوض في فن حتى يستوفي ما قبله". (١٦٦)

(٢) قبول العلم والاستعداد لفهمه : يعتبر ابن خلدون ان الاستعداد لفهم العلم ينشأ تدريجيا ، وبما ان المتعلم يكون في اول الامر عاجزا عن الفهم دفعة واحدة ، فالتعليم يجب ان يكون شيئا فشيئا بواسطة التقريب والاجمال والامثال الحسية . ثم يؤخذ المتعلم بعدها تدريجيا . ويعاد عليه الفن وينقل المعلم من التقريب الى الإلمام حتى تتم الملكة للمتعلم في الاستعداد ثم في التحصيل لكي يستطيع الاحاطة بمسائل الفن . واما اذا القيت عليه المواد دفعة واحدة وهو غير مستعد لها يعجز عن الفهم ولا يستطيع ذهنه ان يستوعب كل هذا فيعتقد ان هذا من صعوبة العلم نفسه فيكرهه ويتكاسل عنه ويتعد وذلك لسوء طريقة التعليم التي يتبعها المعلمون (١٦٧)

---

(١٦٥) الفارابي ، رسالة السياسة ، ص : ٢١

(١٦٦) احمد الحوفي ، مع ابن خلدون ، ص : ٧٢

(١٦٧) ابن خلدون ، تاريخ العلامة ابن خلدون ، ص : ١٠٠٣

كما اشار ابن خلدون على المعلمين بالاستعانة بالامثلة الحسية في التعليم ، نراه يتفق هنا مع علماء التربية وعلماء النفس الذين يرون ان الحواس هي ابواب العلم ، وان المعقولات كلها تنفزع من المحسوسات والمدركات الحسية ، وان الطفل في سنيه الاولى يجب معرفة كل شئ ، وذلك بدافع غريزة المعرفة وحس الاستطلاع . فالحواس هي وسيلة الى المعرفة بالاضافة الى انها تعينه على الحفظ والفهم وسدرة التذكر وسهولة التطبيق .

ومن اشار بالتدرج في التعليم من المحسوس الى المعقول هم اخوان الصفا ، فقد قالوا في هذا الصدد : "ينبغي لمن يريد النظر في مبادئ الامور المحسوسة ، ليروض بها عقله ، ويقوى على النظر في مبادئ الامور المعقولة ، لان معرفة الامور المحسوسة اقرب من فهم المبتدئين ، واسهل على المعلمين " . وقد طبقوا هذا الرأي في رسائلهم لانهم اكثر من الامثال والتشبيهات بغية في التوضيح والافهام وتشبيحت المعلومات . (١٦٨)

(٣) الكتاب الواحد : يقول ابن خلدون "ينبغي على المعلم ان لا يرغم التلميذ عن فهم كتابه الذي تعلمه بحسب قدرته وطاقته ونسبة قابليته للتعليم ويجب ايضا ان لا يخلط مسائل الكتاب الواحد بالآخر الا حتى ان تصبح للمتفهم في هذا العلم ملكة وبذلك يستطيع ان يقبل غيرها بها ، ويكون اكثر استعدادا ونشاطا . لكنه " اذا خلط عليه الامر عجز عن الفهم وادركه الكلال وانظمس فكره ويثس من التحصيل ، وهجر العلم والتعليم " . (١٦٩)

---

(١٦٨) خير الدين الزركلي ، رسائل اخوان الصفا وخلان الوفا ، ص : ٣٣٥

(١٦٩) ابن خلدون ، تاريخ العلامة ابن خلدون ، ص : ١٠٠٤



(٤) علم واحد : يقول ابن خلدون " يجب ان لا يخلط على المتعلم علمان معا ، فانه حينئذ قل ان يظفر بواحد منهما لما فيه من تقسيم البال وانصرافه عن كل واحد منهما الى غم الاخر ، فيستغلطان معا ويستعبدان ، ويعود منها بالخيبة ، واذا غدرغ الفكر لتعلم ما هو بسيله مقتصر عليه ، فربما كان ذلك اجدر بتحصيله " . (١٧٠)

يتبين مما سبق ان ابن خلدون يحتم على المعلم ان يلتزم علما واحدا لا يتجاوز حدوده مع العلم ان العلوم تتداخل وتتعاون . وفي بعض الاحيان يتعذر غم موضوع من المواضيع دون ربطه بعلم اخر يعيننا على فهمه . ذلك ان كثيرا من الحقائق متصل بعضها ببعض اتصالا وثيقا بحيث لا يمكن تدريس العلم منعزلا . فنحن نرى انه لا يمكن تدريس التاريخ منعزلا عن الجغرافيا والاقتصاد والاجتماع لان هذه تساعد الطالب على الفهم بسرعة وعلى ايجاد العلاقات والارتباطات بين العلوم وهي بهذه الطريقة اسرع الى الحفظ والذاكرة . ثم ان الخروج بالمتعلم من علم الى آخر يسليه ويجدد نشاطه وقواه ، ويفسح مداركه وآفاقه ، ويحبب الدرس اليه .

"على ان بعض المربين المحدثين راي ان تركز العلوم حول علم واحد ، مؤسسين رايهم على نظرية هربارت الالمانى في العقل ، فاختار بعضهم الجغرافيا اساسا ، وتخير بعضهم التاريخ محورا ، واقام الامريكيون التاريخ قاعدة ، وابتكر بعض المحدثين طريقة المشروع ، وما ذلك الا لربط المعارف والتشبي مع العقل في ادراكه " . (١٧١)

---

(١٧٠) ابن خلدون ، ج ١ ص ١٠٠٥

(١٧١) احمد الحونى ، مع ابن خلدون ، ص ٨١

(٥) مدة التعليم : يقول ابن خلدون يجب ان لا تطول مدة التعليم في موضوع من المواضيع ويجب ان لا تتعبد مداتها لان اتباع ذلك يورد النسيان ويحصل انقطاع بين مسائل الفن الواحد ويصبح الحصول على الملكة صعبا لتفريق المواد واتساع الوقت بينهما . ولربط المواضيع بعضها في بعض وحصول انسجام بين اجزائها يمكن الحصول على الملكة بسهولة وسرعة خصوصا اذا اتيح في ذلك مجالا للتكرار والتتابع .

هذه هي القواعد الاساسية التي وضعها ابن خلدون في فصل "تعليم العلوم" وهو اهم ما جاء عند ابن خلدون في التربية والتعليم ، غير انه اضاف شيئين الى جانب ذلك لهما اثرهما في الطالب من الناحية التعليمية والاخلاقية وهذين الشئين هما استعمال الشدة او القصاص والرحلة في طلب العلم .

### استعمال الشدة في التعليم :

في الفصل المعنون "في ان الشدة على المتعلمين مضره بهم" يعلل ابن خلدون ذلك بقوله : "ان اهداف الحد في التعليم مضر بالتعلم سيما في اصغر الولد لانه من سوء الملكة ، ومن كان مربيا بالعسف والقهر من المتعلمين او المالك او الخدم سطا به القهر وضيق على النفس في انسياطها ، وذهب بنشاطها ودعاه الى الكسل وحمل على الكذب والخبث وهو التظاهر بخير ما في ضميره خوفا من انسياط الايدى بالقهر عليه ، وعلفه المكر والخديعة لذلك وصارت له هذه عادة وخلقا ، فسدت معاني الانسانية التي له من حيث الاجتماع والتمرن وهي الحمية والمدافعة عن نفسه ومنزله وصار عيالا على غيره في ذلك ، بل وكسلت النفس عن اكتساب الفرائد والخلق الجميل ، فانقبضت عن

غايتهما ومدى انسانيتهما فارتكس وعاد في اسفل السافلين . (١٧٢)

يستطرد ابن خلدون فيقول بانه ينبغي على المعلم وعلى  
الوالدان لا يستبدا في تاديب الولد . فهو بذلك لا ينبغي استعمال  
القصاص ، انما يقول بوجوب استعماله بلباقة وعدم استبداد : " لا ينبغي  
لوموب الصبيان ان يزيده في ضربهم اذا احتاجوا على ثلاثة اسواط  
شيئا " .

وفي موضع اخر يقول ان على المعلم ان يعرف تلميذه  
الاخبار المهمة والاشعار والسمن ، وان يجعله يبصر الامور بدقة  
وجدة . ويجب ان لا تمر لحظة من اللحظات الا وان يجعلها مفيدة  
للتالب وذلك باستعمال اللين دون ان يحشو ذهنه بمختلف الاشياء التافهة .  
كما انه يجب على المعلم استعمال الرفق في التانيب والملاينة وانشاء  
العلاقات الودية بينه وبين التلميذ لاحتراز الثقة الواجبة بينهما . لكنه  
اذا بدا للمعلم ان الامعان باستعمال هذه الطريقة مضره بالتالب وان  
المسامحة تؤدي به الى سوء التصرف والاخلاق فيتعود الاتكالية والكسل  
ويالفها ، عندها يجب استعمال القصاص معه اذا فشلت كل مساعي المعلم  
بالتقرب والملاينة . (١٧٣)

يتبين لنا مما سبق ان ابن خلدون اراد ان يشير الى ان  
الاسراف في استعمال الشدة سواء من الوالدين والاساتذة يؤذي قوة  
الطفل المعنوية والعقلية . واذا كان الانسان بطبيعته ميالا الى تلقي  
صنوف التربية ، فيجب استغلال هذا الميل في تعليم الطفل مختلف العلم  
والفنون التي يحتاج اليها . ان استعمال الشدة تجعله : -

---

(١٧٢) ابن خلدون ، تاريخ العلامة ابن خلدون ، ص : ١٠١٥

(١٧٣) عمن : ص : ١٠١٦

- ٠١ يبغض والديه واساتذته وموضوع درسه ويحمل بصدرة الحق من جراء ذلك .
- ٠٢ يلجاء الى استعمال الحيلة والنفاق والكذب ليتخلص من هذه الشدة .
- ٠٣ يكون اذنانا ضيقة جاهلة وارواحنا خاضعة ذليلة .
- ٠٤ يفسد معاني الانسانية كالفضائل والخلق الجميل .

هذه هي اهم المساويء السلبية من استعمال الشدة في تربية الصغار . وابن خلدون باعطائه هذه الارشادات في معاملة الطفل او الولد لم ينس ان ينبه المعلم الى تهذيب اخلاق الطلاب اثناء تعليمهم ، فهو يوصي المعلم ان يمنع الطالب من الضحك الا في اوقاته . ثم يوصيه بتعليم الصغار احترام الناس وتقديرهم فهو بذلك ينتحي ناحية تربوية اخلاقية مهمة .

#### الوحدة في طلب العلم :

يرى ابن خلدون ان "الوحدة في طلب العلم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعليم" ويقول في هذا الفصل "ان البشر ياخذون معارفهم واخلاقهم وما ينتحلون به من المذاهب والفضائل تارة علما وتعليفا والقاء ، وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة ، الا ان حصول الملكة من المباشرة والتلقين اشد استحكما واقوى رسوخا" .

ثم يستطرد قائلا بان اختلاف طرق التعليم واختلاف المعلمين يوسع افاق المعرفة عند الطالب . "فلقاء اهل العلوم ، وتعدد المشايخ يفيد تمييز الاصطلاحات لما يراه من اختلاف طرقهم فيها فيجرد العلم عنها ويعلم انها انما تعليم وطريق توصيل ، وتتهجروا الى الوسوخ

والاستحكام في الملكات وصحح معارفه ويميزها عن سواها مع تقوية ملكته بالمباشرة والتلقين وكثرتهما من المشيخة عند تعددهم وتنوعهم (١٧٤)

يلاحظ ان ابن خلدون - في هذه الفقرات - يقرن المعارف والمذاهب بالاخلاق والفضائل ، ويقرر ان البشر ياخذون ذلك تارة علما وتعلما والقاء - يعني عن طريق الفكر ، وتارة محاكاة وتلقينا بالمباشرة - يعني عن طريق الفعل ، وانه ينظر بهذه الصورة الى التربية والتعليم نظرة شاملة جدا . نظرة تشمل العلوم والاخلاق ، وتتناول طرق اكتسابها من التعليم الى التلقين والمباشرة والممارسة . (١٧٥)

لقد كانت الرحلة في طلب العلم سنة شائعة بين المسلمين ، فكان كثير من طلاب العلوم يجوبون ربوع العالم ، ويلقون شيوخهم غير ابدين بالصعوبات والمتاعب وبالنفقات والاعطال . وما كان يزيد في مجد الشيخ ان يقصده الطلاب من بلاد بعيدة . فمن اوصاف الشيخ المحببة "عالم رحلة" اى يدخل اليه الطلاب . ولا يزال الطلاب الى الان يغادرون اوطانهم رغبة في طلب العلم والاستزادة منه ، لان كثرة الاساتذة وتنوع الثقافات يكفل لهؤلاء الطلاب ثقافة اوسع واعمق لتنوعها وتشعبها .

ان النقاط الاساسية التي اشرنا اليها في بحثنا عن التربية والتعليم تتلخص فيما يلي :

١ . ان المبادئ الاساسية التي استند اليها ابن خلدون في تدريس قواعد التعليم والملاحظات الجوهرية التي يبني عليها القواعد المذكورة هي :

---

(١٧٤) ابن خلدون ، عنه ص : ١٠١٧

(١٧٥) ساطع الحصرى ، دراسات عن مقدمة ابن خلدون ، ص : ٤٤٠

- ١ - ان الاستعدادات لقبول العلم وفهمه تنشأ تدريجيا .  
ويكون المتعلم في اول الامر عاجزا عن الفهم بالجملة ، الا  
في الاقل ، وعلى سبيل التقريب والاجمال والامثال الحسية .
  - ب - ان المتعلم اذا حصل على ملكة ما في علم من العلوم استعد  
بها لقبول ما بقي ، وحصل له نقاط في طلب المزيد والنهوض  
الى ما فوق ، حتى يستولي على غايات العلم .
  - ج - اذا عجز الطالب على فهم ما يلقي عليه في بادئ الامر ، من  
جراؤ سوء ترتيب المباحث ، حسب ذلك من صعوبة العلم فسي  
نفسه . فكل ذهنه عنها وتكاسل عن العلم ، واعرض عن قبوله ،  
وتماذ في هجرانه .
  - د - ان الملكات انما تحصل بتتابع الفعل وتكرره ، واذا تنويسي الفعل  
تنوسيت الملكة الناشئة عنه .
  - هـ - ان تقسيم البال بين مسالتين مختلفتين يصعب الفهم . ويعكس  
ذلك ، ان نغمر الفكر الى مسألة واحدة ، واقتصاره عليها قبل  
الانتقال الى غيرها يسهل الفهم والتحصيل .
- ٠٢ اما القواعد الاساسية التي يقررها ابن خلدون ، فالاولى واهمها هي  
القاعدة الجامعة التي تقول :
- ١ - "التدرج مع التكرار والتوسع المتمركز ، مراعاة لعقل المتعلم واستعداده " .
  - ب - ثلاث قواعد عامة :
- اولا : على المعلم ان لا يخلط بمباحث الكتاب الواحد بكتاب اخر ،
  - ثانيا : عليه ان لا يطيل الفواصل بين درس ودرس .
  - ثالثا : الا يدرس الطالب علمين في وقت واحد .

٠٣ ان الشدة على المتعلم تؤدي الى ثلاث نتائج سيئة :

- أ - انها تذهب بالنشاط وتدعو الى الكسل
- ب - انها تحصل على الكذب والخبث
- ج - انها تعلم المكر والخديعة .

٠٤ الرحلة في طلب العلم واجبة لانها تجعل المتعلم يحثك باساتذة وباصحاب مذاهب فتكمل فيه صفة العلم .

الان وقد استعرضنا اهم النقاط التي تدور عليها فلسفة ابن خلدون التربوية ، يمكن القول بان ابن خلدون لم يكتب آراءه في ذلك الا بخطوط عريضة ، فلم يدخل في تفاصيل دقيقة ، بل ان آراءه جاءت على هيئة اتجاهات عامة اشار باتباعها ، ومبادئ اساسية راي التمسك بها . وآراءه في التربية مبنية في غالبيتها على مشاهداته الخاصة التي لا بد وان تكون قد كونت لديه نظريات معينة بنى عليها آراءه في التربية . فكونه يربط التربية بركب الحضارة دلالة على شدة ملاحظته وعمق تفكيره ، فان التربية وليدة المجتمع بكل ما فيه من قيم ومن عوامل تؤثر في نواحي الحياة فيه ، وكلما تقدمت الحضارة ارتفعت العلوم واساليب التعليم .

## المراجع--ع

### المراجع العربية

#### الكتب :-

- ٠١ ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد . المقدمة : تاريخ العلامة  
ابن خلدون ، بيروت دار الكتاب اللبناني ، ١٩٥٦ .
- ٠٢ ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد . التعريف بابن خلدون ورحلته  
غربا وشرقا . القاهرة ، مطبعة التاليف والنشر ، ١٩٥١ .
- ٠٣ ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد . كتاب العبر وديوان المبتدأ  
والخير في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من  
ذوى السـلطان الاكبر . القاهرة ، بولاق سنة ١٣٨٤هـ .
- ٠٤ امين ، مصطفى . تاريخ التربية ، القاهرة ، مطبعة المعارف بشارع  
الجمالية بصر ، ١٩٢٥ .
- ٠٥ الاهواني ، احمد فؤاد . التربية في الاسلام او التعليم في رأي  
القائمين . القاهرة ، دار احياء الكتب العربية ، ١٩٥٥ .
- ٠٦ البستاني ، بطرس . دائرة المعارف . الجزء الاول ، بيروت ، مطبعة  
المعارف ، ١٩٠٠ .
- ٠٧ الجبر ، خليل والفاخوري ، حنا . تاريخ الفلسفة العربية . بيروت ،  
دار المعارف ، ( ١٩٥٨-١٩٥٧ ) .



- ٨٠ جمعة ، محمد لطفي • تاريخ فلاسفة الاسلام في المشرق والمغرب • القاهرة ، مطبعة المعارف ، ١٩٢٧ •
- ٩٠ حسين ، طه • فلسفة ابن خلدون الاجتماعية • القاهرة ، لجنة التأليف والنشر ، ١٩٢٥ •
- ١٠ الحصري ، احمد ساطع • دراسات عن مقدمة ابن خلدون • القاهرة ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٣ •
- ١١ الحوفي ، احمد محمد • مع ابن خلدون • القاهرة ، مكتبة نهضة مصر ، سنة ١٩٥٢ •
- ١٢ الزركلي ، خير الدين • رسائل اخوان الصفاء وخلان الوفاء • الجزء الثاني ، المطبعة العربية بمصر ، القاهرة ، ١٣٤٧ هـ ، ١٩٢٨ م •
- ١٣ سليمان ، فتحية حسن • بحث في المذهب التربوي عند ابن خلدون • القاهرة ، مكتبة نهضة مصر ، (لات) •
- ١٤ شلبي ، احمد • تاريخ التربية الاسلامية • بيروت دار الكشاف ، ١٩٥٤ •
- ١٥ صليبا ، جميل • ابن خلدون • دمشق ، مطبعة ابن زيدون ، ١٩٣٣ •
- ١٦ طلّس ، محمد اسعد • التربية والتعليم في الاسلام • بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٥٧ •
- ١٧ عنان ، محمد عبدالله • ابن خلدون : حياته وتراثه الفكري • القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٣٣ •

- ١٨ غنيمة ، محمد عبد الرحيم • تاريخ الجامعات الاسلامية الكبرى •  
تطوان ، دار الطباعة المغربية ، ١٩٥٣ •
- ١٩ الفارابي ، ابو نصر محمد بن محمد • رسائل الفارابي ، حيدر اباد  
الدكن ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، ( ١٣٤٤ -  
١٣٦٧ ) هـ •
- ٢٠ فدوخ ، عمر • عقدية العرب في العلم والفلسفة • بيروت ،  
المكتبة العلمية ومطبعتها ، ١٩٥٢ •
- ٢١ قعير ، ( الاب ) يوحنا • مقدمة ابن خلدون : دراسة ومختارات •  
بيروت ، المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٤٧ •
- ٢٢ كرو ، ابو القاسم محمد • العرب وابن خلدون • تونس ، مطبعة  
الترقي ، ١٩٥٦ •
- ٢٣ ملاح ، محمود • دقائق وحقائق في مقدمة ابن خلدون • بغداد ،  
مكتبة اسعد ، ١٩٥٥ •
- ٢٤ وافي ، علي عبد الواحد • مقدمة ابن خلدون • القاهرة ، لجنة  
البيان العربي ، ١٩٥٧ •
- ٢٥ يازجسي ، كمال وانطوان كرم • اعلام الفلسفة العربية • بيروت ،  
لجنة التأليف المدرسي ، ١٩٥٧ •

#### المجلات :

- ١ اسكندراني ، احمد • "ابن خلدون" مجلة المجمع العلمي العربي •  
ج ١ ، دمشق ، ١٩٢٦ •

- ٠٢ البستاني ، فؤاد اندرام . "الجامعة في العالم العربي نشأتها وتطورها" ، الابحاث . ج ٢ ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني ، ١٩٥٥ .
- ٠٣ زريق ، قسطنطين . "درس جديد لابن خلدون" ، الكلية ، ج ١٨ ، بيروت ، ١٩٣٩ .
- ٠٤ علي ، محمد كرد علي . "العلم في الاندلس" مجلة المجمع العلمي العربي ، ج ٤ ، ١٩٢٧ .
- ٠٥ عياد ، كامل . "ابن خلدون مؤسس علم العمران" الحديث ، ج ٧ ، حلب ، ١٩٣٣ .
- ٠٦ مهدي ، شكرى . "عبد الرحمن ابن خلدون" ، المقتطف ، ج ٧١ ، القاهرة ، ١٩٢٧ .
- ٠٧ هلال ، امين . "الفكرة الاسلامية وراء نظرية ابن خلدون السياسية" ، الحديث ، ج ٨ ، حلب ، ١٩٣٤ .
- ٠٨ وجدى ، محمد فريد . "ابن خلدون في الميزان" ، الهلال ، ج ٤٠ ، القاهرة ، ١٩٣٢ .

#### المصادر الانكليزية

1. An Arab Philosophy of History; selections from the Prolegomenon - of Ibn Khaldun. Trans. by Charles Issawi, London, 1950.
2. Fischel, W.J., Ibn Khaldun's Activities in Mameluk Egypt, Sametic and Oriental Studies University of California, Press, 1951.

3. Ibn Khaldun and Tamerlane; selected & translated by Walter J. Fischel. Beckeley & Los Angelos, 1952.
4. Mahdi, Muhsin, Ibn Khaldun's Philosophy of History, London, George Allen & Urwin Ltd. 1955.
5. Monroe, Paul, A text book in the History of Education, N. Y., Macmillan, 1905.
6. Rahman,,F., Prophecy in Islam, London, George Allen & Urwin, Ltd. 1958.
7. Rosenthal, Erwin I.J., Political Thought in Medieval Islam, London, Cambridge University Press, 1958.